الدعوة إلى السفور دعوة إلى الفجور!!

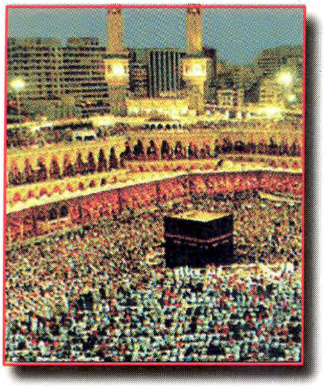

التوحيد

مجلة إسلامية - ثقافية - شهرية
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية

السنة الواحدة والثلاثون - العدد السادس - جمادى الآخرة ١٤٢٣ هـ - الثمن ١٠٠ قرش

الآذان وسننه وما إبتدع فيه!!

مصافحة الرجال للنساء غير المحارم!!

اتقوا فتنة هذا العصر!!

سنة الإبتلاء!!

هلاك الجبابرة

• صاحبة الامتياز •
جماعة أنصار السنة المحمدية

المشرف العام
د. جمال المراكبي
اللجنة العلمية
زكريا حسيني
جمال عبد الرحمن
مجدي عرفات

التوزيع الداخلي:
مؤسسة الأهرام
وفروع أنصار
السنة المحمدية

الاشتراك السنوي:
١ - في الداخل ١٥ جنيهاً (بحوالة بريدية داخلية باسم مجلة التوحيد - على مكتب بريد عابدين).
٢ - في الخارج ٢٠ دولاراً أو ٧٥ ريالا سعوديا أو ما يعادلها.
ترسل القيمة بحوالة بنكية أو شيك. على بنك فيصل الإسلامي - فرع القاهرة - باسم مجلة التوحيد - أنصار السنة (حساب رقم / ١٩١٥٩٠).

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

السلام عليكم

معنى العبودية

قال رسول الله ﷺ: «ما أصاب عبدًا هم ولا حزن، فقال: اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمك، عدل فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي وغمي، إلا أذهب الله همه وغمه وأبدله مكانه فرحًا». قالوا: يا رسول الله، أفلا نتعلمهن؟ قال: «بلى، ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن».

والله من وراء القصد.

الرئيس العام

التحرير / ٨ شارع قوله - عابدين - القاهرة
ت: ٣٩٣٦٥١٧ فاكس: ٣٩٣٠٦٦٢
قسم التوزيع والاشتراكات ت: ٣٩١٥٤٥٦

المركز العام: القاهرة - ٨ شارع قوله - عابدين
هاتف: ٣٩١٥٥٧٦ - ٣٩١٥٤٥٦

التوحيد
هلاك الجبابرة

في هذا العدد

الافتتاحية : الخطوط الوهمية لها حقيقة		
	بقلم الرئيس العام	٢
حديث الشهر : آية العظمة	**المشرف العام**	٥
باب التفسير : سورة الممتحنة	**د. عبد.العظيم بدوى**	٨
باب السنة : هلاك الجبابرة	**الرئيس العام**	١٢
الثبات عند حلول الشبهات		
	معالي الدكتور صالح بن عبد العزيز آل الشيخ	١٦
عدة الشهور	**على عبد العزيز الشبل**	٢١
جزاء من شكر	**صلاح عبد المعبود**	٢٢
ولباس التقوى ذلك خير	**محمد أيمن الشبراوى**	٢٤
توحيد الله	**مجدي قاسم**	٢٦
الإعلام يسير الأعلام (الحافظ العابد سعيد بن جبير)		٢٩
	مجدي عرفات	
سنة الإبتلاء	**متولي البراجيلي**	٣١
فقه الاختلاف	**أسامه سليمان**	٣٤
واحة التوحيد	**التحرير**	٣٦
أقوال واعتقادات خاطئة	**طلعت زهران**	٣٨
السيرة : قصة موسى عليه السلام	**عبد الرازق السيد عيد**	٤٠
بين السنن والمبتدعات	**محمد عبد السلام الشقيري**	٤٣
اتقوا فتنة هذا العصر	**أشرف شعبان**	٤٥
أطفال المسلمين	**جمال عبد الرحمن**	٤٨
الدعوة إلى السفور دعوة إلى الفجور		
	الشيخ ناصر العريني	
تحذير الداعية	**الشيخ على حشيش**	٥١
صحح أحاديثك		٥٣
الفتاوى		٥٧
فتاوى ابن عثيمين	**ابن عثيمين**	٥٨
مكانة الحب	**على الوصيفي**	٦١
إقرأ من مكتبة المركز العام	**علاء خضر**	٦٢
حكم الإسلام فى الوقوف على أماكن معنية للعبادة		٦٦
	شيخ الإسلام بن تيمية	٦٩
وفاة الدكتور مانع الجهيني رحمه الله		٧١

البريد الإلكتروني

المجلة	Mgtawheed@hotmail.com
الرئيس العام	Safwat noreldin@hotmail/com
رئيس التحرير	Gshatem@hotmail.com

رئيس مجلس الإدارة
محمد صفوت نور الدين
رئيس التحرير
جمال سعد حاتم
مدير التحرير الفني
حسين عطا القراط

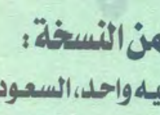

ثمن النسخة:
مصر جنيه واحد، السعودية ٦ ريالات، الإمارات ٦ دراهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكى، الأردن ٥٠٠ فلس، العراق ٧٥٠ فلساً، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني.

التوحيد
هلاك الجبابرة

افتتاحية العدد

الخطوط الوهمية لها حقيقة!!

بقلم
الرئيس العام

خطوط الطول وخطوط العرض خطوط وهمية، قسم بها علماء الهيئة الكرة الأرضية إلى أقسام يضعونها على الخرائط لتحديد مواقع البلدان، ولها تعلق بالشروق والغرب، ولها تعلق بالحرارة والبرودة وبأشياء أخرى كثيرة تعين هذه الخطوط على دراستها والتعرف عليها، ومع ذلك فهي خطوط وهمية.

سنن الله في الخلق

المجال المغناطيسي خطوط وهمية حول قطبي المغناطيس وبينهما، وهي خطوط وهمية يمكن أن يظهرها الطالب عند وضع المغناطيس على مستوى أفقي وينثر عليه برادة الحديد ثم يطرق طرقًا خفيفًا تتوزع بسببه برادة الحديد في المجال المغناطيسي، فتتحول الخطوط الوهمية إلى خطوط منظورة.

والمجتمع البشرى ينتشر فيه الناس في خطوط وهمية كذلك حول الاهتمامات التي تشبع الرغبات أو تمثل الاتجاهات، لكن هذه الخطوط الوهمية تختلف عن سابقتها من خطوط الطول والعرض وخطوط المجال المغناطيسي في أنه لا جَوْرَ بين بعض هذه الخطوط وبعضها، أما بين البشر فتتداخل هذه الخطوط وتتوزع الاهتمامات ويتنازع القائمون بذلك تنازعًا شديدًا.

فمثلاً هناك من المجلات والدوريات وغيرها من وسائل الإعلام الكثير، منها الجاد في أمور الحياة العلمية التطبيقية؛ طبية أو هندسية أو اقتصادية، ومنها الهابط الذي ينشر الصور العارية ويكتب القصص الجنسية يخاطب الغرائز الحيوانية ويثير الأطماع المَرَضِيَّة في قلوب أصحابها، وهناك المجلات الدينية التي تخاطب الناس برسالة رب العالمين وتدعوهم بدعوة الأنبياء والمرسلين، لكل مجال من هذه المجالات رواده ومشجعوه ومحبوه من طبقات المجتمع المختلفة وبينها تداخل محدود قليل بنسبة مئوية منخفضة، فعند عمل إحصاء أو

استبانة عن بعض الدوريات تجد أن صاحب الاهتمامات الاقتصادية يندر أن يقبل على الدوريات الطبية، وصاحب الاهتمامات الطبية يندر أن يتجه نحو الدوريات الهندسية، وصاحب الاهتمامات الشرعية ينفر من المجلات الهابطة، وصاحب الاتجاهات الهابطة لا يكاد يقبل بالنظر على المجلات الإسلامية.

حرب باردة بين الاتجاهات المختلفة!!

وهناك حرب باردة بين بعض هذه الاتجاهات، كل يريد أن يشكك في جدوى الاتجاه الآخر ويحرص على تشويه صورته والتقليل من قيمته وتنفير الناس منه.

وهناك حرب أخرى أشد خبثًا يريد بها أصحاب الاتجاهات الهابطة أن يستحوذوا على بعض المنتمين للاتجاهات الأخرى ليوسعوا دائرة المتعاطفين معهم والمنتمين إليهم.

مجلة هابطة تفتح أبوابها للملاحدة يكتبون في التفسير ويتحدثون عن الفقه، وأخرى تجتهد في تشويه صورة الدعوة الإسلامية المعاصرة وتمتد بهم الجرأة إلى أن يتكلموا في السابقين حتى بلغوا إلى الصحابة الكرام، بل إلى النبي ﷺ، حتى أساؤا إلى الله رب العالمين، فنسبوه إلى العصبية أو الظلم أو غير ذلك، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، وأعطى الكثير منهم نَفْسَهُ حق التفسير والشرح والقبول والرفض، فشككوا في الأصول، بل ورموا غيرهم بأدوائهم وأمراضهم.

كتاب الصفحات السوداء الخبيثة!!

أصحاب القلوب الطيبة الغضة الطرية إذا وجدوا أهل الهبوط تخطوا كل الحدود المعقولة ورفعوا أقلامهم الخبيثة يطعنون في الطهارة وأهلها، كما كان سلفهم من قوم لوط لما قالوا: ﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل: ٥٦]، وإذا رأوهم طعنوا في العلماء العاملين ورجال السلف الصالحين كما فعل أسلافهم، حيث قالوا: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١] .ملأ الحزن قلوبهم الطيبة وأخذوا يطالبون بالرد عليهم وكشف عوارهم، ولا يكفيهم أن يكتب وينشر الفهم الصحيح حتى يطلبوا صراحة تعيين أسماء الكاتبين ونشر التوضيح لهذه الصفحات السوداء الخبيثة وموضعها الذي وضعت فيه، وذلك هو أكبر ما يسعد به أولئك الذين يريدون أن تنتشر أقوالهم السخيفة وآراؤهم المرذولة، وهؤلاء الطيبون يلحون طالبين ضرورة الرد بالتعيين والتصريح ولا يعجبهم الوقوف عند بيان الحق والتلميح، وهذا يعني أن تصبح وسائل الإعلام التي تقصد نشر الفضيلة (على قلتها) بوقًا يردد أقوال أهل الرذيلة ويعلن عنها، يعني أن يكتسب أهل الرذائل من صفوف أهل الفضيلة فيكثر الفاقد من صفوف الفضيلة ويقل العائد إليها، لذا أذكر مثالين:

الأول: أن إعلاميًا أنتج فلمًا من أوائل هذه الأفلام الفاضحة وأرسلوا من يخاطب شيخًا فاضلاً صاحب منبر مسموع تحتشد له الجماهير فعلق الشيخ الجليل على الفلم التعليق الصريح بكافة وسائل التصريح، وعدد من فضائحه، تحذيرًا منه وتنفيرًا للناس، فكانت النتيجة أن بقي شباك التذاكر مفتوحًا لأربع سنوات متتالية، وصرح منتج الفلم أنه طبع من أشرطة الشيخ الكثير ووزعها مجانًا؛ لأنه وجدها خير وسيلة للإعلان عن فلمه، فهل نعتبر؟!!

بوار بضاعة كتاب الإلحاد!!

الثاني: أن كاتبًا كان يكتب في الإلحاد،

فلما وجد بوار بضاعته وصد الناس عن كتبه، ما كان منه إلا أن كتب مقالاً يسب فيه كتبه ويشين نفسه وكتبه باسم غير اسمه، ثم بعث به مع آخر إلى مجلة إسلامية معروفة، فأسرعت المجلة بنشر المقال، فكانت نتيجة ذلك أن طبع الكتاب عدة طبعات متتالية، وانتشر انتشارًا واسعًا.

بيان الحق بوسائله!!

هذا، وينبغي لطالب الحق عندما يشرع في طلب العلم ألا ينسى أن الكون يحكمه رب العالمين وأنه يرزق جميع المخلوقين وقد وسع هؤلاء الشريرين في ملكه وأطعمهم من رزقه ليس غفلة ولا نسيانًا فحاشاه سبحانه، إنما الدنيا دار اختبار وفي الآخرة الجزاء، فكل ينتظره جزاؤه عند رب حكم عدل لا يغفل ولا ينسى ولا ينام، لذا كان المنهج الذي نرتضيه خاليًا من الردود والهجوم ويقف عند حد بيان الحق بوسائله كما كان شأن النبي ﷺ: «فالمؤمن ليس بطعان ولا لعان ولا فاحش ولا بذيء»، والمؤمن يقدم النصيحة كما كان ﷺ يقول: ما بال أقوام يقولون كذا وكذا ولا يعين فيدعو الناس ليسمعوا لهؤلاء ويجتمعوا عليهم إنما أعراضنا عن ذكر أسمائهم وبيان سخافاتهم؛ لأن الله عز وجل ضمن سبحانه فقال: ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ --[الرعد: ١٧]، وعلى الله فليتوكل المتوكلون، فإنه هو الذي تولى الدفاع عن أوليائه، ففي الحديث القدسي: «من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب»، وكفى بالله وليًا مدافعًا.

تفويت الفرصة على أعداء الإسلام!!

هذا، وإن بعض الدعاة الصالحين والعلماء العاملين الذين فتح الله تعالى بهم قلوبًا وبصر بهم أعينًا ورفع بهم لواء التوحيد لم يتمكن الشيطان منهم في منهجهم، لكن احتال عليهم حتى حمسهم في القول من باب الغيرة على المخالفين فيما يسع فيه الخلاف، فشرعوا الألسنة والأقلام يتحدثون عن إخوان لهم من الدعاة العاملين وأكثر بعضهم وأقل في ذلك، ونحن نقر لهم بالفضل والعلم والخير والفقه العميق والفهم السليم، لكن الشيطان ألقى على ألسنتهم كلمات فيها الطعن واللمز لإخوانهم، وهؤلاء لهم في القلوب محبة وفي النفوس منزلة عالية، ولكن كثير من تلامذتهم يتعلق في قلوبهم هذا الذي ألقاه الشيطان أكثر من تعلق القواعد العلمية والأسس الفقهية والأصول التربوية التي هي من ميزات هؤلاء الشيوخ، والجدير بإخواننا أن يعرضوا عن هذه الزلات ولا يقيموا لها كبير وزن ولا يدعوهم ذلك أن يهجروا مجالس هؤلاء العلماء الأجلاء، فإن لهم في النفوس منازل وفي القلوب درجات لو استثنينا منها سلبياتهم لبقي مقامهم في المسلمين عاليًا وجهدهم واضحًا، لكن الشيطان يريد أن يذكي ذلك ليصبح عداوة كما ذكر مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «إن الشيطان أيس أن يعبد في أرضكم هذه ولكنه رضي بالتحريش».

فهل نفوّت عليه الفرصة، آخذين بتوجيه ربنا سبحانه في قوله: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٧].

والله من وراء القصد.

آية العظمة

بقلم
د. جمال المراكبي

الله سبحانه وتعالى هو العظيم، جلت عظمته عن الوصف، ولا طريق لمعرفة الله والإقرار بعظمته وجلاله إلا بالنظر في آيات الله المتلوة والتدبر في معاني هذه الآيات، أو النظر في آيات الله الكونية والتأمل في عظيم صنع الله تعالى، وقد حثنا القرآن الكريم على الأمرين، فقال المولى تبارك وتعالى في تدبر آيات القرآن العظيم: ßأَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا [محمد: ٢٤]، وقال سبحانه ßإِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ [ق: ٣٧]، وقال سبحانه في الحث على التفكر في آيات الكون: ßإِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ. الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١]، وقال: ßوَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ. وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ [الذاريات: ٢٠، ٢١].

ففي الأرض من الآيات الدالة على عظمة الخالق وقدرته الباهرة مما قد ذرأ فيها من صنوف النبات والحيوان والجبال والقفار والأنهار والبحار، وما دق وما عظم من المخلوقات ما يدل على عظيم قدرة الله تعالى وبديع صنعه الذي تحار فيه العقول.

وما في السماء من آيات أعظم مما في الأرض، فقد بناها الخلاق العظيم بقوة وأوسع خلقها، وبغير عمد رفعها وأقامها، وزينها بالنجوم والكواكب، حتى إن الناظر إليها بأعظم وسائل التقنية من تلسكوب أو أقمار صناعية ليحار من عظمتها وسعتها: ßوَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ [الذاريات: ٤٧].

وإذا كان العلماء قد استطاعوا تقدير المسافة بين الأرض وبين القمر، وبين الأرض وبين الشمس، مستخدمين في ذلك سرعة الضوء كوحدة للقياس، فإنهم لا يزالون يعلنون عن عجزهم عن مجرد رؤية أبعاد السماء أو تصور سعتها، ولهذا يعبرون عنها بأنها فضاء لا نهائي.

عظمة الله تعالى.. وعظمة بعض مخلوقاته!!

وقد اهتم أهل السنة بما يثير في النفوس كوامن التعظيم لله عز وجل، فكتبوا في ذلك وصنفوا، ويندر أن تجد كتابًا من كتب الاعتقاد على طريقة السلف الصالح إلا وتجد فيه أبوابًا في عظمة الله تعالى، وعظمة بعض مخلوقاته الدالة على عظمته سبحانه كالحديث عن الملائكة ومنهم حملة العرش ومن حوله، والحديث عن الكرسي والعرش وعظم خلقهما.

ومن علماء السلف من صنف في موضوع العظمة ذاته فكتبوا في دلائل عظمة الله تعالى في آياته المنظورة وآياته المتلوة المسموعة، ومن أشهر من كتب في موضوع العظمة أبوالشيخ الأصبهاني المتوفى سنة ٣٦٩هـ، ومن قبله أبو أحمد العسال المتوفى سنة ٣٤٩هـ.

ومن الآيات القرآنية التي تثير في نفوس المؤمنين دلائل العظمة التي تليق بذي الجلال والإكرام آية الكرسي؛ لذا وصفها النبي ﷺ بأنها أعظم آية في كتاب الله عز وجل، وكل القرآن عظيم.

ففي الصحيح أن رسول ﷺ سأل أبي بن كعب قائلاً: يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ فقال أُبَي بن كعب: الله ورسوله أعلم. فأعاد عليه النبي ﷺ السؤال، فقال أبي: آية الكرسي: ßاللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ... ، فضرب النبي ﷺ في صدره وقال: «ليهنك العلم أبا المنذر، والذي

نفسي بيده إن لها لسانًا وشفتين تقدس الملك عند ساق العرش». [مسلم (ح٨١٠)، وأحمد مسند الأنصار (٢٠٣١٨)].

آية جمعت أصول الأسماء والصفات!!

وهذه الآية الكريمة تتكون من خمسين كلمة في عشر جمل تضمنت التوحيد، فإنها جمعت أصول الأسماء الحسنى والصفات العليا من التفرد بالإلهية والوحدانية، ومن كمال الحياة والعلم والقيومية والملك والقدرة والإرادة، فدلت على توحيد الإلهية في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾، ودلت على توحيد الربوبية في قوله تعالى: ﴿الحَيُّ القَيُّومُ﴾، وفي قوله تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾، ودلت على توحيد الأسماء والصفات بما ورد فيها من أسماء وأوصاف لله عز وجل تدل على كماله وجلاله وعظمته، وقد ورد فيها اسم الله ما بين ظاهر ومضمر ثماني عشرة مرة، فالظاهر من الأسماء الحسنى في الآية الكريمة الله الحي القيوم العلي العظيم، وباقي الأسماء ورد في صيغة الضمير، ودلت على صفات الذات وصفات الفعل كالحي والقيوم، ودلت على صفات السلب- النفي- بمعنى نفي النقائص والعيوب عن الله عز وجل كما في قوله تعالى: ﴿لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ﴾، وفي قوله تعالى: ﴿وَلاَ يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾.

كما دلت على الصفات الثبوتية التي تثبت لله كل كمال كما في قوله: ﴿الحَيُّ القَيُّومُ﴾، ﴿العَلِيُّ العَظِيمُ﴾، وأثبتت لله تعالى الملك والقدرة والقوة والإحاطة والعلم والعلو والعظمة... إلخ.

وسميت هذه الآية آية الكرسي لأنه ورد فيها ذكر الكرسي وأنه وسع السماوات والأرض، فدل على أنه أعظم خلقًا من السماوات والأرض ومن الكون المنظور.

روى الترمذي في جامعه- باب فضائل القرآن (ح٢٨٨٤) حدثنا محمد بن إسماعيل- البخاري- قال حدثنا الحميدي حدثنا سفيان بن عيينة في تفسير حديث عبد الله بن مسعود قال: ما خلق الله من سماءٍ ولا أرضٍ أعظم من آية الكرسي.

قال سفيان: لأن آية الكرسي هي كلام الله، وكلام الله أعظم من خلق الله ومن السماء والأرض.

قال في تحفة الأحوذي: وفي قول سفيان هذا نظر، فإنه يلزم على هذا أن لا تكون هذه الفضيلة مختصة بآية الكرسي، بل تعم كل آية من القرآن لأن كلا منها كلام الله تعالى.

قلت: وهو استدراك صحيح، فإن أية آيةٍ من القرآن من كلام الله تعالى، صفة من صفات الله تعالى، وصفةُ الله أعظم من كل مخلوق، فلا يكون هذا خاصًا بآية الكرسي.

السموات والأرضون في الكرسي كحلقة في فلاة من الأرض، والعرش أعظم من الكرسي، هذا الخلق؛ فكيف عظمة الخالق؟!!

معنى كلمة التوحيد

والمعنى عندي والله أعلم أن المراد بآيةِ الكرسي في هذا الخبر ليس الآية من القرآن كما يتبادر إلى الذهن، وإنما المراد من آية الكرسي، الكرسي الذي خلقه الله تعالى دون العرش، وهو آية من آيات الله سبحانه في خلقه، وهو أعظم من السماء والأرض، كما في قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

﴿اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ أي: لا معبود بحق سواه، وهو معنى كلمة التوحيد.

﴿الحَيُّ القَيُّومُ﴾ هذا نعت- وصف- لله تعالى يتضمن اسمين من أجل الأسماء الحسنى ورد في الحديث أنهما اسم الله الأعظم.

ورد اسم الحي مقرونًا بالقيوم في ثلاثة مواضع: ﴿اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥، آل عمران: ٢]، ﴿وَعَنَتِ الوُجُوهُ لِلْحَيِّ القَيُّوم﴾ [طه: ١١١].

وورد منفردًا في موضعين: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الحَيِّ الَّذِي لاَ يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٨].

﴿هُوَ الحَيُّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦٥].

وفي صحيح مسلم عن ابن عباس (٢٧١٧) أن رسول الله كان يقول: «اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت، اللهم إني أعوذ بعزتك أن تضلني أنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون». [حم ٢٦١٢].

وفي «سنن الترمذي» (٣٥٢٤) عن أنس قال: كان النبي ﷺ إذا كربه أمر قال: «يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث».

﴿ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ ﴾، وهذا لكمال حياته وقيوميته، وفي هذا المعنى يقول النبي ﷺ : «إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه».

﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ﴾: خلقًا وملكًا وعبودية، فهو سبحانه المالك، وما سواه مملوك، وهو الخالق الرازق المدبر، وغيره مخلوق مرزوق لا يملك لنفسه ولا لغيره مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، ولهذا قال سبحانه: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾، فلا يملك الشفاعة إلا الله، ولا يشفع عنده أحد إلا من بعد إذنه للشافع ورضاه عن المشفوع فيه، فإذا أراد سبحانه أن يرحم من يشاء من عباده، أذن لمن أراد من عباده أن يشفع فيه قال تعالى: ﴿ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ﴾، وقال: ﴿وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى ﴾، وقال: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لاَ تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾ [النجم: ٢٦].

﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ فهو سبحانه وتعالى بكل شيء عليم، وبكل شيء محيط، وسع كل شيء علمًا، يعلم ما كان وما هو كائن وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، أما الخلق فقد وصفهم الله سبحانه بقوله: ﴿وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ ﴾، فلا يطلعون على شيء من ذاته وصفاته إلا بما أطلعهم عليه، ولا يحيطون به علمًا، ولا يعلمون من أمر الكون أو الشرع إلا ما أعلمهم الله عز وجل.

علم الخلائق.. وعلم الله سبحانه!!

وعلم الخلائق جميعًا لا يساوي قطرة في بحر علم الله عز وجل كما قال الخضر لموسى عليهما السلام، ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾.

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ ﴾ هذه هي الآية التي لا تدانيها السماوات والأرض عظمة، مع أن الكرسي دون العرش، والعرش أعظم منه، ولقد صح عن النبي ﷺ : «ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة». [السلسلة الصحيحة (حديث رقم١٠٩)].

﴿وَلاَ يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾، فالله سبحانه هو الحي القيوم، لايثقله ولا يُتعبه حفظ السماوات والأرض وما فيهن، وهو القائم بتدبير هذه المخلوقات على عظمتها، وهو القائم على كل نفس بما كسبت الرقيب على كل شيء، والأشياء كلها محتاجة إليه وهو الغني الحميد الفعَّال لما يريد، وهو القاهر لكل شيء وهو العلي العظيم الكبير المتعال، وحملة العرش بين يديه يسبحونه ويمجدونه.

الله سبحانه هو الحي القيوم، لايثقله ولا يُتعبه حفظ السماوات والأرض وما فيهن، وهو القائم بتدبير هذه المخلوقات على عظمتها!!

مع أن الواحد من هؤلاء الملائكة أعظم خلقًا من السماء والأرض، كما قال النبي ﷺ : «أذن لي أن أحدث عن ملك من حملة العرش ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام».

فسبحان من هذا ملكه، ومن هذا تدبيره، ومن هؤلاء خلقه وعبيده، ومن جلت عظمته عما يشرك به المشركون، ويصفه به الجاحدون: ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ. وَسَلاَمٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾.

والله من وراء القصد.

سورة الممتحنة

بقلم: د. عبدالعظيم بدوي

الحلقة الأولى

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاء مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ. إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ. لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلاَ أَوْلادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

[الممتحنة: ١- ٣].

❑ بين يدي السورة ❑

سورة مدنية تدور حول قضية الحبّ في الله والبغض في الله، حول قضية الولاء والبراء، وهما أصلان من أصول الإسلام، ومظهران من مظاهر إخلاص المحبّة لله، ثم لأنبيائه وللمؤمنين. والبراءُ مظهر من مظاهر كراهية الباطل وأهله، وهو أصل من أصول الإيمان. استفتحت السورة الكريمة بنهي المؤمنين عن موالاة عدوّ الله وعدوهم وذَكّرتْهُم ببعض مواقف هذا العدوّ منهم، ليكون ذلك عونًا لهم على ترك موالاته. ثم ذكّرتهم بأبيهم إبراهيم والذين آمنوا معه إذ تبرّأوا من قومهم لما كفروا، وللمؤمنين الأسوة الحسنة بإبراهيم والذين معه. ولما كان البراء من الكافرين ذوي القربى فيه ما فيه من المشقة على النفس فتح الله باب الأمل والرجاء أمام المؤمنين فأعلمهم أنه سبحانه قادرٌ على أن يشرح صدور هؤلاء الكفّار للإسلام وبذلك تنتهي عداوتهم ويصيرون من أهل الولاء لا من أهل البراء. وحتي يكون ذلك فلا مانع من المعاشرة بالمعروف، والصلة والبرّ، لمن ﴿لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم﴾ وأما ﴿الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم﴾ فلا يجوز لكم ﴿أن تولوهم، ومن يتولهم

فأولئك هم الظالمون﴾.

ولقد كان من شروط صلح الحديبية أن مَنْ جاء مسلمًا من الكفار إلى المسلمين فعلى المسلمين ردّه، فاستثنى الله من هذا الشرط المؤمنات لضعفهنّ وخوف الفتنة عليهنّ بردهن إلى الكفار، وأمر المؤمنين أن يمتحنوهنّ ﴿فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهنّ إلي الكفار﴾ ثم أرشد الله نبيّه ﷺ إلى صفة بَيْعَةِ النساء، وأمَرَه إذا بايعهنّ أن يستغفرَ لهنّ الله. ثم خُتمت السورة بما بُدئَت به من النهي عن اتخاذ الكفار أولياء.

سبب نزول السورة

اتفق المفسرون على أن سبب نزول صدر هذه السورة الكريمة قصةُ حاطب بن أبي بلتعة، وذلك أن حاطبًا هذا كان رجلا من المهاجرين، وكان من أهل بدر، وكان له بمكة أولادٌ ومالٌ، ولم يكن من قريش أنفسِهم، بل كان حليفًا لعثمان، فلما عزم رسولُ الله ﷺ على فتح مكة لما نَقَضَ أهلُها العهدَ، أمر المسلمين بالتجهيز لغزوهم، وقال: «اللهم عمّ عليهم خَبَرَنا». فعَمَدَ حاطبٌ هذا فكتب كتابًا وبعثه مع امرأةٍ من قريش إلى أهلِ مكة، يُعْلِمُهُم بما عزم عليه رسولُ الله ﷺ من غزوهم، ليتّخِذَ بذلك عندهم يدًا، فأطلع الله تعالى على ذلك رسولَه ﷺ استجابةً لدعائه؛ فبعث في إثر المرأةِ فأخذَ الكتابَ منها، وهذا هو معنى الحديث المتفق عليه عن الحسن بن محمد أنه سمع عُبَيْدَ الله بنَ أبِي رافعٍ يقول: سمعت عليًا رضي الله عنه يقول: بعثني رسولُ الله ﷺ أنا والزبيرَ والمقداد فقال: انطلقوا حتى تأتوا روضةَ خاخ، فإن بها ظعينةً معها كتابٌ فخذوه منها. قال: فانطلقْنا تعادي بنا خيلُنا حتى أتيْنا الروضةَ، فإذا نحن بالظعينة. فقلنا لها: أَخْرِجي الكتابَ: قالت: ما معي كتابٌ. فقلنا: لتخرجنّ الكتابَ أو لنلقينَّ الثيابَ. قال: فأخرجتْه من عقاصها، فأتيْنَا به رسولَ الله ﷺ فإذا فيه: مِنْ حاطب بن أبي بلتعة إلى ناسٍ بمكة من المشركين، يخبرهم ببعض أمرِ رسول الله ﷺ. فقال رسولُ الله ﷺ: يا حاطبُ ما هذا؟ قال: يا رسول الله، لا تعجل عليّ، إنّي كنتُ امرءًا مُلصَقًا في قريش - يقول: كنت حليفًا - ولم أكن من أنفسِها، وكان مَنْ معك مِنَ المهاجرين مَنْ لهم بها قرابات يحمون أهلهم وأموالهم، فأحببتُ إذْ فاتني ذلك من النَّسَبِ فيهم أنْ أتخذ عندهم يدًا يحمون قرابتي، ولم أفعلْه ارتدادا عن ديني، ولا رضًا بالكفر بعد الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: «أما إنه قد صدقكم». فقال عمر: يا رسولَ الله، دَعني أضرب عنق هذا المنافق. فقال: «إنه قد شهد بدرًا، وما يُدْرِيكَ لعلّ اللهَ اطلع على مَنْ شهد بدرًا فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم». فانزل الله السورة: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوّي وعدوكم أولياء. تُلقون إليهم بالمودّة وقد كفروا بما جاءكم من الحق.. إلى قوله.. فقد ضلّ سواء السبيل﴾.

نداءٌ محبب إلى قلوب المؤمنين

وهكذا استفتح الله السورةَ بهذا النداء الحبيب ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ وهو نداء يثير المشاعر، ويحرك العواطف، ويدعو إلى

الاستجابة لما بعده. ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ يا من رضيتم بالله ربًا، وبمحمدٍ رسولا، وبالإسلام دينًا، ﴿لا تتخذوا عدوّي وعدوكم أولياء﴾ وفي النهي بهذا الأسلوب إثارةٌ لمشاعر المؤمنين، أنَّ العدو الذي ينهاكم الله عَن موالاتِه هو عدوُّ الله وعدوكم، فأنتم أولياءُ الله، واللهُ وليكم، وعدوكم عدوٌّ لله، وعدوُّ الله يجبُ أن تتخذوه عدوًا لكم: وإذا علمتم هذا فكيف ﴿تُلقون إليهم بالمودّة وقد كفروا بما جاءكم من الحق﴾ وكفرهم بما جاءكم به الرسولُ ﷺ من الحق من عند الله كافٍ لاتخاذهم عدوًا، فكيف وهم ﴿يُخْرجون الرسولَ وإياكم﴾ من دياركم وأموالكم بغير ذنبٍ إلا ﴿أن تؤمنوا بالله ربّكم﴾ فـ ﴿إن كنتم خرجتم جهادًا في سبيلي وابتغاءَ مرضاتي﴾ فلا تتخذوهم أولياء.

وكيف ﴿تُسرُّون إليهم بالمودّة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم﴾ فمهما أسْرَرْتُم يَعْلَمْه الله، ومهما كتمتمْ يُظْهرْه الله، لأنه ﴿يعلم السرّ وأخفى﴾ [طه:٧]. ﴿ويعلم ما تسرون وما تعلنون. والله عليم بذات الصدور﴾ [التغابن:٤]. ﴿ومن يفعله منكم فقد ضلّ سواءَ السبيل﴾. وهكذا يتوسّط هذا التهديدُ وذلك التحذيرُ يتوسّطُ تبصيرَ المؤمنين بحقيقة أعدائهم وما يُضْمرُون لهم من الشرّ والكيد، ثم تجيء البقية:

﴿إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداءً ويبسطوا إليكم أيديَهم وألسنَتهم بالسوء وودُّوا لو تكفرون﴾ أي: إن يتمكنوا منكم ويقدروا عليكم تظهر عدواتُهم التي أخفوها، ويبسُطوا إليكم أيديَهم بالضربِ والقتل، وألسنتَهم بالسبِّ والشتم والطعن في دينكم، والأدْهى من هذا كلِّه والأشدُّ والأنكى أنهم يتمنّون أن ترجعوا بعد إيمانكم كفّارا ﴿وودّوا لو تكفرون﴾. وهذه عند المؤمن أشدّ مِنْ كلّ أذًى ومِنْ كلِّ سوءٍ يصيبُه باليد أو اللسان، فالذي يودّ له لو يخسر هذا الكنز العزيز - كنز الإيمان - ويرتدّ إلى الكفر، هو أعدى من كلّ عدوّ يؤذيه باليد واللسان! والذي يذوق حلاوة الإيمان بعد الكفر، ويهتدي بنوره بعد الضلال، ويعيش عيشةَ المؤمن بتصوراته ومداركه ومشاعره، واستقامة طريقه، وطمأنينةَ قلبه، يكره العودةَ إلى الكفر، كما يكره أن يُلقى في النار أو أشدّ، فعدوّ الله هو الذي يودّ أن يرجعَه إلى جحيم الكفر وقد خرج منه إلي جنة الإيمان، وإلى فراغ الكفر الخاوي بعد عالم الإيمان المعمور، لهذا يتدرج القرآنُ في تهييج قلوب المؤمنين ضدّ أعدائه وأعدائهم حتى يصلَ إلى قمّتِه بقوله لهم ﴿وودّوا لو تكفرون﴾.

المال والبنون فتنة

قوله تعالى: ﴿لن تنفعكم أرحامُكم ولا أولادكم، يومَ القيامة يفصلُ بينكم والله بما تعملون بصير﴾ معناه: يا حاطبُ، إنّ هؤلاء الأولادَ والأقاربَ الذين خلّفتَهم بمكة، وأردتَ بكتابك الذي كتبتَه أن تَتّخذَ عندهم يدًا يحمي اللهُ بها أهلك وولدك، إنّ هؤلاء الأهلَ والأولادَ لنْ ينفَعوك يومَ القيامة، وأنت رجلٌ مؤمنٌ حريصٌ على ما ينفعك في الآخرة، فإذا علمتَ أنّ الأرحام والأولادَ لن يُغنُوا عنك من الله شيئًا فلا تَعُدْ لمثل ما كان منك. ﴿لن

تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم. يوم القيامة يفصل بينكم﴾. ﴿وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون﴾ [سبأ:٣٧]. ﴿وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى وما يغني عنه ماله إذا تردى﴾ [الليل:٨ - ١١]. ﴿فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾ [المؤمنون:١٠١].

﴿فإذا جاءت الصاخّة. يوم يفرّ المرء من أخيه. وأمّه وأبيه. وصاحبته وبنيه. لكلّ امرىءٍ منهم يومئذٍ شأن يغنيه﴾ [عبس:٣٣ - ٣٧].

فلن ينفع الوالدَ الكافرَ إيمانُ ولده، ولن ينفَع الولدَ الكافر إيمانُ والده، ولن ينفعَ الزوجَ الكافرَ إيمانُ زوجته، ولن ينفَع الزوجةَ الكافرة إيمانُ زوجها، ﴿أم لم ينبأ بما في صحف موسى. وإبراهيم الذي وفّى. ألا تزر وازرةٌ وزرَ أخرى. وأن ليس للإنسان إلا ما سعى. وأن سعيه سوف يُرى. ثم يجزاه الجزاء الأوفى﴾ [النجم:٣٦ - ٤١]. لقد كان نوحٌ عليه السلام أولّ رسولٍ بعثه اللهُ إلى أهل الأرض. ومع ذلك لما كفر ابنُه لم يغنِ عَنْهُ من الله شيئًا، ﴿ونادى نوحٌ ابنَه وكان في معزلٍ يا بنيّ اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء، قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم، وحال بينهما الموج فكان من المغرقين﴾ [هود:٤٢:٤٣]. وكذلك لم يغنِ نوحٌ ولوطٌ عليهما السلام عن زوجتيهما من الله شيئًا لما كانتا من الكافرين. ولم ينفعْ فرعونَ إيمانُ زوجته لما كان هو من الكافرين. قال تعالى ﴿ضربَ الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأةَ لوطٍ كانتا تحت عَبْدَيْن من عبادنا صالحيْن فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئًا وقيل ادخلا النار مع الداخلين وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأةَ فرعونَ إذ قالتْ ربّ ابن لي عندك بيتًا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين﴾ [التحريم:١٠،١١]. حتى نبيّنا محمدٌ ﷺ سيدُ الأولين والآخرين، وخليل رب العالمين لم يُغْنِ عن أبَويه من الله شيئًا، ولذا جاءه رجلٌ فقال: يا رسول الله، أين أبي؟ قال: «في النار». فكأن الرجل وجد في نفسه شيئًا، فلما ولّى ناداه رسول الله ﷺ فقال: «إن أبي وأباك في النار». وذات يوم كان مع أصحابه في سفر فمال عن الطريق، ثم رجع إليهم يبكي، فقالوا: ما يبكيك يا رسول الله فقال ﷺ: «استأذنتُ ربّي أن أزور قبر أمّي فأذن لي، واستأذنته أن أستغفر لها فلم يأذن لي». ولما نزل عليه ﷺ قولُ ربّه ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ [الشعراء:٢١٤]. قال ﷺ: «لا أغني عنك من الله شيئا. يا صفية عمة النبي لا أغني عنك من الله شيئًا، يا فاطمة بنت النبي سليني ما شِئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئًا».

﴿لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم، يومَ القيامة يفصلُ بينكم، والله بما تعملون بصير﴾ أي وسيجزيكم على أعمالكم إن خيرا فخير، وإن شرًا فشر.

وللحديث بقية إن شاء الله

هلاك الجبابرة

بقلم / الرئيس العام

عن النبي ﷺ قال: إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله.

قال ابن حجر: وقد انفقت كنوزهما في المغانم.

الحديث أخرجه البخاري ومسلم من رواية جابر بن سمرة ومن رواية أبي هريرة أيضا.

هلك: الهلاك يأتي بمعان متعددة منها افتقاد الشيء عنك وهو عند غيرك موجود كقوله تعالى: ﴿هلك عني سلطانيه﴾.

وهلاك الشيء باستحالة وفساد كقوله: ﴿ويهلك الحرث والنسل﴾.

والهلاك الموت كقوله تعالى: ﴿إن امرؤ هلك﴾ وقال تعالى مخبرا عن الكفار ﴿وما يهلكنا إلا الدهر﴾.

والهلاك بطلان الشيء من العالم وعدمه رأسا وذلك الفناء كقوله تعالى: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾.

والهلاك بمعنى العذاب كقوله تعالى: ﴿أفتهلكنا بما فعل السفهاء منا﴾، وكقوله: ﴿فهل يهلك إلا القوم الفاسقون﴾ وهذا هو الهلاك الأكبر ومنه قوله ﷺ «إذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلكهم» أي أن الضالين الذين يُيَئِسون الناس من رحمة الله يقولون: هلك الناس: أي استحقوا النار بسوء أعمالهم فإذا قال الرجل ذلك فهو الذي أوجبها لهم لا الله تعالى. وبالضم (أهلكهُم): أي أكثرهم هلاكا.

والهلاك الإفساد كقوله ﷺ «ما خالطت الصدقة مالا إلا أهلكته».

وفي الحديث «وتركها بمهلكة» أي موضع الهلاك أو الهلاك نفسه.

والمتدبر في آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية يجد أن المعاني السابقة من الموت والبطلان والعذاب والإفساد موجودة لكن الموت هو المعنى الأكثر ورودا.

وفي حديثنا هذا «إذا هلك كسرى» يعني مات.

وكسرى اسم لمن ملك الفرس، وقيصر اسم لمن ملك الروم، كما أن النجاشي اسم لمن ملك الحبشة، والمقوقس اسم لمن ملك المصريين القدماء (القبط)، كما كان فرعون اسما لمن ملك مصر قديما، وتُبَّع اسم لمن ملك اليمن ولا يسمى به إلا إذا كانت له حِمْيَر، وحضرموت.

قد يفهم من يقرأ ذلك الحديث الشريف من قوله ﷺ فلا قيصر بعده زوال ملك القياصرة عن جميع بلاد الأرض وزوال ملك كسرى عن جميع بلاد الأرض كذلك. وليس هذا هو المعنى المقصود لكن المعنى زوال مملكة كسرى عن بلاد العراق ومملكة قيصر عن بلاد الشام. قال ابن حجر: وسبب الحديث أن قريشا كانوا يأتون الشام والعراق تجارا فلما أسلموا خافوا انقطاع سفرهم إليهما لدخولهم في الإسلام فقال النبي ﷺ ذلك لهم تطييبًا لقلوبهم وتبشيرا لهم بأن ملكهم سيزول عن الإقليمين المذكورين.

ثم قال ابن حجر: قيل الحكمة في أن قيصر بقي ملكه وإنما ارتفع عن الشام وما والاها أما كسرى فقد ذهب ملكه أصلا ورأسا؛ ذلك أن قيصر لما جاءه كتاب النبي ﷺ قبّله وكاد أن يسلم، وكسرى لما أتاه كتاب النبي ﷺ مزقه فدعا النبي ﷺ أن يمزق ملكه كل ممزق فكان كذلك. وعلى كل تقدير فالمراد من الحديث وقع لا محالة لأنهما لم تبق مملكتهما على الوجه الذي كان في زمن النبي ﷺ.

قال الخطابي فلا قيصر بعده يملك مثل ما يملك، وذلك أنه كان بالشام وبها بيت المقدس الذي لا يتم

للنصارى نسك إلا به ولا يملك على الروم أحد إلا كان قد دخله إما سرا وإما جهرا فانجلى عنه قيصر واستفتحت خزائنه ولم يخلفه أحد من القياصرة في تلك البلاد بعد.

وفي حوادث سنة خمس عشرة قال ابن كثير جـ٧ ص٥٤ :

كان هرقل كلما حج إلى بيت المقدس وخرج منها يقول: عليك السلام يا سورية تسليم مودع لم يقض منك وطرا وهو عائد. فلما عزم على الرحيل من بلاد الشام وبلغ الرها طلب من أهلها أن يصحبوه إلي الروم. فقالوا: إن بقاءنا ها هنا أنفع لك من رحيلنا معك فتركهم فلما وصل إلى شمشاط وعلا على شرف هنالك التفت نحو بيت المقدس وقال: عليك السلام يا سورية سلاما لا اجتماع بعده إلا أنْ أُسلم تسليم المفارق ولا يعود إليك رومي أبدا إلا خائفا حتى يولد المولود المشؤوم ويا ليته لم يولد. ما أحلى فعله وأمرٌ عاقبته على الروم. ثم سار هرقل حتى نزل القسطنطينية واستقر بها ملكه وقد سأل رجلا ممن اتبعه كان قد أسر مع المسلمين. فقال: أخبرني عن هؤلاء القوم. فقال أخبرك كأنك تنظر إليهم. هم فرسان بالنهار ورهبان بالليل لا يأكلون في ذمتهم إلا بثمن، ولا يدخلون إلا بسلام، يقفون على من حاربوه حتى يأتوا عليه. فقال: لئن كنت صدقتني ليملكن موضع قدمي هاتين. قلت - القائل ابن كثير - وقد حاصر المسلمون قسطنطينية(١) في زمان بني أمية فلم يملكوها ولكن سيملكها المسلمون في آخر الزمان كما سنبينه في كتاب الملاحم وذلك قبل خروج الدجال بقليل على ما صَحَّت به الأحاديث عن رسول الله ﷺ في صحيح مسلم وغيره من الأمة ولله الحمد والمنة.

وقد حرم الله على الروم أن يملكوا بلاد الشام برمتها إلي آخر الدهر كما ثبت به الحديث في الصحيحين عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده. (الحديث) وقد وقع ما أخبر به صلوات الله وسلامه عليه كما رأيت وسيكون ما أخبر به جزما لا يعود ملك القياصرة إلي الشام أبدا لأن قيصر علم جنس عند العرب يطلق على كل من ملك الشام مع بلاد الروم فهذا لا يعود أبدا.

وقال ابن كثير جـ٦ ص١٩٦ بعد أن ذكر حديث الشيخين عن أبي هريرة وعن جابر بن سمرة قال: وقد وقع مصداق ذلك بعده في أيام الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان استوثقت هذه الممالك فتحا على أيدي المسلمين وأنفقت أموال قيصر ملك الروم وكسرى ملك الفرس في سبيل الله. وفي هذا الحديث بشارة عظيمة للمسلمين وهي أن ملك فارس قد انقطع فلا عودة له وملك الروم للشام قد زال عنها فلا يملكونها بعد ذلك ولله الحمد والمنة. وله دلالة على صحة خلافة أبي بكر وعمر وعثمان والشهادة لهم بالعدل حيث أنفقت الأموال المغنومة في زمانهم في سبيل الله على الوجه المرضي الممدوح.

قال ابن كثير في البداية والنهاية في حوادث سنة ٤٢١ :

وفيها أقبل ملك الروم من قسطنطينية في مائة ألف مقاتل فسار حتى بلغ بلاد حلب وعليها شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس فنزلوا على مسيرة يوم منها وقد عزم ملك الروم أن يستحوذ على بلاد الشام كلها وأن يستردها إلى دين النصرانية وقد قال رسول الله ﷺ «إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده» وقيصر هو من ملك الشام من الروم مع بلاد الروم فلا سبيل لملك الروم إلى هذا. فلما نزل من حلب كما ذكرنا أرسل الله عليهم عطشا شديدا وخالف بين كلمتهم وذلك أنه كان معه الدمستق فعامل طائفة من الجيش علي قتله ليستقل هو بالأمر من بعده ففهم الملك ذلك فكر من فوره راجعا فاتبعهم الأعراب ينهبونهم ليلا ونهارا وكان من جملة ما أخذوه منهم أربعمائة فحل محجل محملة أموالا وثيابا للملك، وهلك أكثرهم جوعا وعطشا ونهبوا من كل جانب ولله الحمد والمنة. جـ١٢ ص٣٠،٣١ .

وذكر ابن كثير في حوادث سنة ٣١ قتل كسرى ملك الفرس وهو يزدجرد:

وذكر حوادث عدة في آخرها أنه لما قتل حمل ما كان عليه من الحلي إلى أمير المؤمنين عثمان

بن عفان وقال: وكان ملك يزدجرد عشرين سنة منها أربع سنين في دعة وباقي ذلك هاربا من بلد إلى بلد خوفا من الإسلام وأهله. وهو آخر ملوك الفرس في الدنيا على الإطلاق لقول رسول ﷺ: «إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده وإذا هلك كسرى فلا كسرى بعده والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله».

في سنة ١٦ للهجرة النبوية المشرفة في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه غزا سعد بن أبي وقاص بلاد الفرس فكان فتح بهرسير وهي إحدى مدينتي كسرى مما يلي دجلة من الغرب، وقد خيرهم سعد فأبوا إلا القتال فقاتلهم المسلمون ونصبوا لهم المجانيق والدبابات وقد حلفت الفرس ألا يفروا أبدا فأكذبهم الله وفروا بعد حصار شديد اشتد عليهم الأمر وضاقت بهم المعايش حتى أشرف رجل من الفرس على المسلمين فقال يقول لكم الملك: هل لكم إلى المصالحة على أن لنا ما يلينا من دجلة إلى جبلنا ولكم ما يليكم من دجلة إلى جبلكم؟ أما شبعتم لا أشبع الله بطونكم. فأجابهم أبو مفزِّر الأسود بن قطبه بكلام ألقاه الله على لسانه فوقع منه الرعب في قلوبهم فقال لهم: لا يكون بيننا وبينه صلح أبدا حتى نأكل عسل أفريدين بأترج كوثي. فقال الملك يا ويلاه إن الملائكة لتتكلم على ألسنتهم ترد علينا وتجيبنا عن العرب ثم أمر الناس بالرحيل إلى المدائن فركبوا السفن وعبروا دجلة.

فلما وقف المسلمون بساحل دجلة رأوا القصر الأبيض قصر الملك في المدائن الذي وعد رسول الله ﷺ أن الله سيفتحه على أمته خطب سعد الناس وحثهم على القتال وبين لهم صعوبة المعركة وخطورة السكوت عن قتال الفرس. فانتدب للناس من يخوضون دجلة ليؤمنوا للناس الشاطئ الآخر وأمر عليهم عاصم بن عمرو فتقدم رجل من شجعانهم وقال: أتخافون من هذه النطفة؟ ثم تلا قوله تعالى: ﴿وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا﴾ ثم أقحم فرسه فيها واقتحم الناس فلما رآهم الفرس يطفون على وجه الماء قالوا: مجانين. مجانين. ثم قالوا والله ما تقاتلون إنسا بل تقاتلون جنا ثم أرسلوا فرسانا منهم في الماء يلتقون أول المسلمين ليمنعوهم من الخروج من الماء فأمر عاصم بن عمرو أصحابه أن يشرعوا لهم الرماح ويتوخوا أعين الخيل فارتدت الخيل ورجع الفرس ووقفت طليعة المسلمين على حافة دجلة ونزل بقية أصحاب عاصم فخاضوا الماء حتى وصلوا الجانب الآخر فقاتلوا معهم الفرس ثم نزل سعد ببقية الجيش حتى يمروا وسعد يقول: نستعين بالله ونتوكل عليه حسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. فاقتحم سعد والناس لم يتخلف منهم أحد وقد أوقع الله في قلوبهم الطمأنينة، فأميرهم سعد أحد العشرة المبشرين بالجنة دعا له رسول الله ﷺ: «اللهم أجب دعوته وسدد رميته» والمقطوع به أن سعدا دعا ربه لجيشه فاستجاب الله دعوته ولم يفقد لهم يومها شيء إلا قدحا لرجل دفعه الماء إليهم فردوه إلى صاحبه وكان سعد يقول: حسبنا الله ونعم الوكيل والله لينصرن الله وليه وليظهرن دينه وليهزمن الله عدوه إن لم يكن في الجيش بغي أو ذنوب تغلب الحسنات.

••المشركون في الحروب يحلفون ألا يفروا ثم يفرون والمسلمون صدقوا ما عاهدوا الله عليه!!

فلما خرجوا من النهر وجدوا كسرى قد هرب بأهله وما استطاع من المال. ثم جاء سعد بالجيش أهل القصر الأبيض ثلاثة أيام على لسان سلمان الفارسي فلما كان اليوم الثالث نزلوا منه وسكنه سعد واتخذ الديوان مصلى وتلا قوله تعالى: ﴿كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوما آخرين» ثم تقدم فصلى ثماني ركعات بتسليمة واحدة ثم أرسلوا السرايا في أثر كسرى يزدجرد فقتلوه وأخذوا أموالا عظيمة وكنوزا كثيرة أنفقت في

●● من تولاه الله رفع عنه عدوه، ونصر من نصره، وخذل من خذله!!

سبيل الله تصديقا لحديث النبي الكريم ﷺ.

وفي الحديث من دلائل النبوة وقوع الأمر كما أخبر النبي ﷺ حيث زال ملك كسرى عن العراق بل زال تمامًا وزال ملك الروم عن الشام وإن كانت أطماعهم لا تزال تمتد نحو بيت المقدس ويغتنمون غفلة المسلمين لينقضوا عليهم. والله لا يمكن للكافرين من رقاب المسلمين إلا بسبب غفلة المسلمين عن دينهم وتركهم لكتاب ربهم وهجرهم لسنة نبيهم فيكون الهوان واقعًا بهم. فمن هان عليه أمر ربه فعصاه هان هو على ربه فأسلمه وخذله. ومن عظم عنده أمر ربه فتمسك به وأطاعه وعمل به فانتهى عن المحارم واستغنى بالحلال عن الحرام والتزم الطاعات فاستوفى الفرائض واجتهد في تحصيل النوافل فإن الله تعالى يتولاه. ومن تولاه الله تعالى رفع عنه عدوه، ومكر بمن مكر به وخدع من خدعه وخذل من خذله ونصر من نصره فانظر كيف كان في شق البحر كيد لموسى وكيد بفرعون فنجى الله موسى وأهلك فرعون بكيده العظيم.

والله يعز من أعز دينه واعتز به ويذل من خذل دينه وينزله من جبروته وعلوه ويصيره عبدا ذليلا. فلابد لنا أن نعتبر من الأمم السابقة وما أصابهم فالأيام دول والله غالب على أمره. والله يحكم كونه فلا تفلت منه ذرة ولا يفلت منه أحد لحظة، فسبحان رب العالمين يعز من يشاء، ويذل من يشاء، وتدبر في قوله تعالى في سورة القصص: ﴿طسم (١) تلك آيات الكتاب المبين (٢) نتلو عليك من نبإ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون (٣) إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين (٤) ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين (٥) ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾ [القصص:١-٦]، وتدبر قوله سبحانه: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون <٥٥> وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون <٥٦> لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض ومأواهم النار ولبئس المصير﴾ [النور:٥٥-٥٧].

وهذه الأمم من حولنا عروش تزول وتتهدم، وأخرى تعلو وتتجبر، والله هو الملك الجبار فمن لاذ بجنابه عز، ومن بعد عن دينه وهجر كتابه وعصى ربه ذل. والطريق بيِّن للسالكين فلا تغتر بكثرة الهالكين ولا تستهن بقلة السالكين إلى ربهم، فكم من ملك ظن أن ملكه لا يبيد فأزال الله ملكه حال كان أعز ما يرى الناس ويحسبون، وكم من مستضعف رفعه الله تعالى فوق رقاب الجبارين. واعلم أن الآخرة أبقى فإن كان النعيم فهو المقيم العظيم وإن كان العذاب فهو الأليم الشديد. فاللهم نسألك عفوك وعزك ونصرك فبصرنا بدينك وأقمنا عليه إنك على كل شيء قدير.

والحمد لله رب العالمين.

إشهار

تشهد مديرية الشئون الاجتماعية بالشرقية بأنه قد تم إشهار فرع أنصار السنة بناحية المحمودية مركز هيها، وذلك طبقًا للقانون رقم ٣٢ لسنة ١٩٦٤م تحت رقم (١٢٤٦) اعتبارًا من ٢٠٠٢/١/٦ للعمل في ميدان الخدمات العلمية والثقافية والدينية والمساعدات الاجتماعية.

الثبات عند حلول الشبهات

الحلقة الأخيرة

بقلم معالي الشيخ: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ
وزير الشئون الإسلامية والأوقاف بالسعودية

الثقة بوعد الله جل وعلا

إننا واثقون بوعد الله جل وعلا؛ لأن وعد الله جل وعلا لا يخلف، وقد قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح: ٢٨].

فدينُ الإسلام انتشر في السنوات الأخيرة انتشارًا بينًا، فَوُجِدَتِ الأعمالُ الإسلامية من إنشاء المساجد والدعوة، وتبيينِ معالم الدين في العالم كله.

وهذه البلادُ بخاصة كان لها النصيبُ الأكبرُ من حمل الدعوة الإسلامية إلى الغرب وأوربا وأمريكا، وإلى مشارق الأرض ومغاربها.

وهذا بفضل الله عز وجل ثم بفضل توجيهات ولاةِ أمورنا، وفقهم الله جل وعلا.

ونشرُ هذا الدين أصلٌ من الأصول العظيمة؛ لأنه جهاد دائمٌ ماضٍ، وهو جهاد الحجة والبيان.

٢. العلماءُ والدعاة قدوة هذه الأمة

وَصَفَ عمرُ بنُ عبدِ العزيز رحمه الله تعالى الصحابةَ وساداتِ التابعين بما وصفهم به، ومنها قوله: «إنهم على علمٍ وَقَفُوا، وببصر نافذٍ كَفُّوا». وإن ما جرى لهذه الأمة ابتلاءٌ عظيم.

أفترجع فيه إلى الأصل الأصيل، وهو: كتاب الله جل وعلا وسنةُ رسوله ﷺ، وهدي السلف الصالح، وكلامُ أهلِ العلم الراسخين فيه. أم أنها لا ترجع إلى الأصل الأصيل؟ فيحصل في قلبها زيغٌ فتتبع المتشابهَ.

فالواجبُ على طلاب العلم أن يتعرفوا على منهج السلف عند حلول تقلبات الدهر. والله جل وعلا يبتلي عباده، ولا بدَّ أن نرجع إلى منهج السلف بعد التعرف عليه، والتفقه في الكتاب والسنة. وهذا أصل أصيل.

اليقظة اليقظة عند الأراجيف والشائعات!!

إنَّ هذه التقلبات التي حصلتْ، والكلامَ الذي تسمعونه ممن ينتسب إلى الإسلام، من علماءَ، ودعاةٍ، ومتحمسين، ومتعجلين، ومن أصحاب الإرجاف في القنوات الفضائية المختلفة تدعونا إلى اليقظة.

وإنه ليُخْشَى على من أدمنَ النظرَ إلى القنوات الفضائية المختلفة وتَابَعَها أن ينحرفَ عن المنهج إلا إذا كان قويَّ الصلة بالقرآن والسنة وبمنهج السلف الصالح.

وليحذرْ طلابُ العلمِ والدعاةُ والوعاظُ

أوصى الدعاة وطلاب العلم والوعاظ أن يحافظوا على حماية بيضة المسلمين وأن يكونوا مع الجماعة، وأن يحرصوا على الاجتماع على ولاة الأمور حتى تتحقق المصالح، وتدرأ المفاسد، وتفوِّت الفرصة على أعداء الإسلام!!

والمرشدون من إلقاء كلمة تسبب فرقةَ هذه الأمةِ، وتوغر الصدورِ في بلاد الإسلام. وليحذروا من الانسياق وراءَ القنوات، والإعلام المسموعِ والمقروءِ والمرئيِّ.

وعلى دعاةِ الإسلامِ أن يوجِّهوا الناسَ إلى ما ينفعهم.

تفويت الفرصة على الأعداء نباهة

الواجبُ على كلّ داعية من دعاة الإسلام وكلِّ مرشد، وكلِّ واعظ، وكلِّ طالبِ علمٍ أن يحافظ على حماية بيضة المسلمين، وأن يكون مع الجماعة، ويحرص على الاجتماع على ولاة الأمور لأنه بهذا تحقق المصالح، وتدرأ المفاسد، ويُفَوِّتُ الفرصةَ أو الغرضَ على أعداء الإسلام ممن يتربصون الدوائرَ بهذه الأمة.

عدم شحن النفوس

مهمةُ دعاة الإسلام توجيهُ الناس إلى ما ينفعُهم. ولكن بعض الدعاة نسي المهمة الملقاة على عاتقه، فتراه في أوقات يزيدُ على ما قالته القنواتُ والإعلامُ، ويسيرُ على نفس الوتيرة مما يؤدي إلى زيادة التوتر وشحن النفوس، تارةً باسم الولاء والبراء غير المنضبط شرعًا. وتارةً باسم الدعوة للجهاد في سبيل الله تعالى. وتارةً كذا، وكذا كذا.

وكلُّ هذا يشحن النفوس دون توجيهٍ صحيحٍ فيما ينفعُ الأمة، ثم ينتج عن ذلك التشاحنُ والتفرُّقُ.

وعلى الدعاة الانتباهُ في كلماتهم إلى ما ينفع الناسَ، والحذرُ من شحن النفوس، الذي قد لا يكون منضبطًا بالضابط الشرعي.

وإرشادُ الناس، أو بيانُ الواقعُ يحصلُ إذا كانت النفوسُ خاليةً. لكن إذا كانت نفوس الناس مشحونة، وهم يتابعون هذه القنوات ليل نهار ثم يأتي الداعية أو الخطيب، ويزيد في اشتعالها. فنتساءل: إلى أين تريد - يا خطيبُ - أن يتّجِهَ الناسُ؟

والجواب: ليس ثَمَّتَ اتجاهٌ إلاّ إلى زيادة ما في النفوس من اختلافات، وسوء الظن، وترك الجماعة.

فالحذرَ الحذر من أن يدعو الداعيةُ إلى مثل ما يضرُّ الناس ولا ينفعهم. وليعلم الدعاة أن ما دار بين الصحابة من حروب كعلي رضي الله عنه، ومعاوية رضي الله عنه في وقعة «صفين»، ووقعة «الجمل» وغير ذلك؛ فمعتقدُ أهل السنة والجماعة أن هذه الحروبَ ليس الصحابة طرفًا فيها، فالصحابةُ وجدُوا أنفسهم يتقاتلون وهم لا يشعرون. والذي أشعل هذه الحروب هم

الخوارج. ذكر ذلك شيخ الإسلام، وشارح الطحاوية وغيرهما.

فسعى الخوارج بين الطرفين، لإعلاء ما يزعمونه حقًا من رفع رايةٍ ظاهرُها حقٌّ وباطنُها باطلٌ، وهي: «لا حكم إلا لله»، وهم لا يريدون القتال بين الصحابة، ولكنَّ السعي الذي لم ينتبهوا إلى نتائجه أوقعَ الصحابة في القتال. وقتالُ الصحابة أعظمُ مصيبةٍ في التاريخ الإسلامي.

وصار من عقائدنا سلامةُ ألسنتنا وقلوبنا من الغلِّ، وعدمُ النيلِ ممن حَصَلَ بينهم القتالُ.

سؤال: إذن مَنْ أشْعَلَ هذه الفتنةَ؟

الجواب: هم الخوارجُ.

سؤال: كيف يكون ذلك؟

الجواب: ما أشبهَ الليلةَ بالبارحة، النفوسُ إذا زاد شحنها، حصلت الفتن.

فإنه يحصل من فئة إما بإدراك أو بغير إدراك، وإما بقصد أو بغير قصد أن توقعَ الناس في صراعات ومقاتل ومعارك وهم لا يشعرون، ولن ينتبهوا إلا إذا وقعت، وإذا وقع السيفُ فمتى يُرْفَعُ؟

فالحذر الحذر من هذا الأمر، والتنبيه واليقظة إلى اتباع هدي السلف، وإلى العبرة من الفتنِ التي حصلتْ، والمقاتل في ذلك.

القدوة الحسنة

الواجبُ على أهل الإيمان بعامة، وعلى طلبة العلم من دعاة ومرشدين ووعاظ ومسئولين عن الأمور الدينية بخاصة؛ أن يكونوا هم القدوةَ الحسنةَ للناس حين تحدث الحوادثُ، وتختلطُ الأمورُ.

٣. الوسطية أصل من أصول السنة والجماعة

لنا في سلفنا الصالح الأسوة الحسنة فإنهم رحمهم الله من صحابة ومن تابعين ومن بعدهم كلما أتت الفتن أو تقلبت الأمور أوصوا فيها بما هو الحق، وهو البعد عن طرفي الغلوّ والجفاء، فهم أهل وسطية في الأمور، ليسوا مع أهل الغلو في غلوهم، وليسوا مع أهل الجفاء في جفائهم، وليسوا مع أهل الخوف حين يخافُ الناسُ إلا من الله جل وعلا وليسوا مع أهل الأمن من مكر الله جل وعلا حين يأمن الناس ويكونون في دعة.

إننا ننطلق من شريعتنا. فلا نزيد في الأمر ولا نُحمله ما لا يحتمل. ولا نذهب إلى أمور غير مقبولة من التكفير، ومن إساءة الظن بعلماء المسلمين، وولاة أمورهم.

والحذر الحذر من اللوبي الإعلامي العالمي الذي يعتبر مصدر المعلومات التي تنشرها القنوات الفضائية.

وعلى المسلمين أن يقفوا وقفة متسائلين: ما الذي يراد شحنه في نفوس أهل الإسلام حتى يوصل إليه؟

والحذر الحذر من وقوع بأس الأمة بينهم، فتتحول إلى فرق وأحزاب، ويبغي بعضهم على بعض، ويقتل بعضهم بعضًا.

وفي التأني والرفق تدرك الأمور، وتنال المقاصد.

علينا أن نمضي في دعوتنا بعيدين عن أهل الغلو في غلوهم، وعن أهل الجفاء في جفائهم.

نحن أمة وسط، نُرْشِدُ ونُعَلِّم ما ينفع الأمة ولا يضرها.

٤. الجهادُ صفة هذه الأمة

الجهاد في سبيل الله جل وعلا من صفة هذه الأمة كما ذكر الله جل وعلا في كتابه وبيَّنهُ

النبي ﷺ، لكن له أحكام في كتب العلماء والتفاسير، وشروح الأحاديث.

أما الأمر الأول في مسألة الجهاد، فالله جل وعلا قال: ﴿وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً ٨٣ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ٨٣، ٨٤].

جاء رجل إلى النبي ﷺ يستأذنه في الجهاد، فقال له ﷺ: «أحيٌّ والداك؟» قال: نعم. قال: «ففيهما فجاهد». [أخرجه البخاري].

وأجمع أهل السنة والجماعة على أن الجهاد ماضٍ مع كل إمام إلى قيام الساعة. ليس للأفراد مهما كانوا أن يدعوا إلى الجهاد. والذي يدعو إلى الجهاد هو ولي الأمر؛ لقول الله جل وعلا لنبيه ﷺ: ﴿وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ...﴾.

وليس لأحد من الرعية أن يفتئت على ولي الأمر فيما أعطاه الله جل وعلا من خصوصياته، وقد فهم الصحابة ذلك؛ لذا جاء رجلٌ يستأذن النبيَّ ﷺ في الجهاد، ولم يذهب من دون إذن.

وليس الجهاد مع فئات أو جماعات، وإنما الجهادُ مع ولي الأمر، مع الإمام إذا دعا إليه.

والجهادُ من أعظم وأكبر ما يختص به وليُّ الأمر. أما لو دَعا إلى الجهاد آحادُ الناس لحلَّتِ الفوضى.

والعلماء والدعاة يدعون إلى الجهاد إذا دعا إليه وليُّ الأمر؛ لهذا قال الله عز وجل: ﴿وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، فالمؤمنون تبعٌ لوليِّ أمرهم في ذلك.

قال موفق الدين بنُ قدامة في «المغني»: «وأمرُ الجهادِ موكولٌ إلى الإمام واجتهاده ويلزمُ الرعية طاعتهُ فيما يراهُ من ذلك». اهـ.

وهنا مسألة أصولية مهمة في تصرفات النبي ﷺ:

أقوال النبي ﷺ وأعماله تحمَلُ على أمور:

أ ـ تارة يقول ويعمل ويتصرف ﷺ لكونه رسولاً نبيًا، وهذا فيما يتعلق بالوحي وتبليغه، والتشريع، والأمر والنهي، والحلال والحرام.

ب ـ وتارة يتصرف ويفعل ويقول ﷺ لاعتبارات متنوعة:

١ ـ باعتباره وليًا للأمر، إمامًا للمسلمين.
٢ ـ باعتباره قاضيًا.
٣ ـ باعتباره مفتيا.
٤ ـ باعتباره ناصحًا.

وهكذا... لهذا قال الله جل وعلا لعموم الأمة: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

فالنبي ﷺ أسوة حسنةٌ لأئمة المسلمين، أسوةٌ حسنة للقضاة، أسوةٌ حسنة للمفتين، أسوةٌ حسنة للمرشدين، أسوةٌ حسنة للدعاة، أسوةٌ حسنة للرجل في بيته، أسوةٌ حسنة لعامة الناس في تصرفاتهم.

وهكذا فهو عليه الصلاة والسلام أسوةٌ حسنة لكل الطبقات والفئات.

إذًا فلا يحق لأحدٍ منا أن يدعوَ الناس إلى الجهاد إلا إذا دعا إليه وليُّ الأمر.

فرعايةُ النصوصِ وقواعدِ أهل السنة والجماعة في هذا الأمر واجبٌ علينا شرعًا.

فليحذر الواحدُ منا من أن تَزِلَّ قدمُه، ويعطي الناس ما لا ينبغي.

ولقد حثَّ النبي ﷺ الناس على الجهاد،

بقوله: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم». [أخرجه أبو داود في «سننه» (٢٥٠٤)]. وهذا أمرٌ مرتبط بالنصوص، وبمعتقد أهل السنة والجماعة.

٥.الاجتماع على هدي السلف عند ظهور الفتن

لا بدَّ من رعاية هَدْي السلفِ كما جاء في النصوص في أحوال تقلبات الزمان والأحوال وظهور الفتن. فإذا ظهرت المشتبهات فالتجاسر مذموم، والتأني والرفق هو المحمود، كما وَصَفَ عمرُ بنُ عبدِ العزيز رحمه الله الصحابة بقوله: إنهم على علم وقفوا- يعني: فيما أقدموا عليه- وببصرٍ نافذٍ كَفُّوا- يعني: فيما كَفُّوا عنه في أمر الدين والعمل.

ومن المهم الضروريِّ أن يتفقه الداعيةُ في الدين، وبذلك يحصل له كلُّ خيرٍ، ومن ذلك:

أ - أن يكون في زمن الاختلاف منجيًا لنفسه، متقيًا لله جل وعلا.

ب - أن لا يوقع غيره في شبهة أو فتنة.

وإذا حصل اشتباه فعليه أن يلتزم بالحديث الذي يدورُ عليه رحى الإسلام، وهو أصلٌ عظيمٌ من أصول الإسلام، وهو قوله ﷺ: «دع ما يريبك إلا ما لا يريبك». [أخرجه الترمذي (٢٥١٨)، والنسائي (٨/٣٢٨)].

أي: إذا لم تظهر لك الأمور بينة واضحة بأدلتها ومعتقدها ونصوصها في زمن البلاء والاختلاف والفتنة فدعْ ما يريبك إلى ما لا يريبك.

جـ - ترك تقليد من لا يُرْكَنُ إلى قوله.

فمثلاً: كان الناس في زمن الإمام أحمد في فتنة عظيمة، فما كان من الإمام أحمدَ إلا أن ثَبَتَ على الأمر العتيق.

وقد قال جمعٌ من السلف: إذا التبستِ الأمورُ فعليكم بالأمرِ العتيق.

فالأمر العتيق هو الهديُ العتيق.

أما أن يدخلَ الناسُ في أمرٍ من أجل صنيع بعضهم فهذا مرفوضٌ ولا يصح أن تجر فئةٌ قليلةُ الدعاة، والجماعاتِ الإسلاميةَ والدولَ إلى حروب وجهادٍ عام منقادين دون علم وحكمةٍ.

لماذا هذا؟ هل هو حبٌّ في أن يتَّجِهَ الناسُ للجهاد؟

لا، بل لهم أغراض لا تخدم الأمة. قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَـٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

أيها الإخوة: الحديثُ متشعبٌ، ولكن التوسطَ والتوازنَ التوازنَ، ونحن مع المؤمنين، وضدُّ الكافرين، لكن على منهجنا، ولسنا على منهج غيرنا، والناسُ تبعٌ في ذلك لولاة أمورهم؛ لأن من مهمات الإمام ووليِّ الأمر الحفاظُ على الدين، والحفاظُ على بيضة الأمة؛ كيلا يعتدي عليهم معتدٍ.

فإذا تجاسرَ بعضُ الناس وتجاهلَ ولاةَ الأمرِ والعلماءَ حدثتْ فتنةٌ عظيمةٌ وانحرافٌ عن منهج السلف. فالله اللهَ في هذا الأمر، وأن لا يُجَرَّ أحدُنا بحسن قصد.

أسأل الله جل وعلا أن يوفق الجميع إلى ما فيه رضاه، وأن يجعلنا ممن يرى الحقَّ حقًّا، وأن يمنَّ علينا باتباعه، ويرى الباطلَ باطلاً، ويمنَّ علينا باجتنابه. كما نسأل الله جل وعلا أن يوفق الجميع لما فيه الرشدُ والسدادُ، وأن يؤيد سبحانه وتعالى ولاة أمورنا بالحقِّ، وأن يجزيهم عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

عدة الشهور ! !

كتبه / علي عبدالعزيز الشبل
المدرس بقسم العقيدة بجامعة الرياض

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليما... أما بعد :

فإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرًا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم، ذلك الدين القيم، فلا تظلموا فيهن أنفسكم، وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين. كما في آية سورة براءة، وهذه الأشهر هي الأشهر القمرية، المرتبطة بسير القمر، لا بسير الشمس، بدءًا من المحرم إلى ذي الحجة، كذا أجمع عليه المسلمون جيلا بعد جيل. اقتفاءً لهدي النبي ﷺ وأصحابه، هذا وإن من العقائد الجاهلية، والعوائد الفاسدة البدعية، والظنون الكاذبة، اعتقاد الشؤم بزمان كيوم أو شهر أو سنة، أو اعتقاد الشؤم والتطير ببعض الناس كالأعمى والأبرص والأعور أو بعض المخلوقات كالغراب والبوم من الطيور، أو العقرب والفأر، أو الهواء والبرد والحر ونحو ذلك.

ومن الناس مَنْ يتشاءم من يوم الجمعة، لأنه يتلوه يوم السبت وفيه العمل والدراسة، أو يتشاءم من يوم السبت.

وهذا كله مخالف للعقيدة الإسلامية، باعتقاد التطير والتشاؤم من الأزمان أو بعضها أو من المخلوقات.

ولقد كان من عوائد الجاهلية الأولى التطير بشهر صفر والتشاؤم.

وكان لهم في شهر صفر فعلان محذوران، يقدحان في إيمانهم بالله وبقضائه وقدره، والتوكل عليه:

١ - أولهما: أنهم كانوا يؤخرون شهر الله المحرم إلى شهر صفر ليحلّوا القتال فيه ويذهبوا عنه حرمته، فيقعوا في ظلم أنفسهم، وظلم غيرهم، وهو ما عابه الله عليهم بقوله تعالى من سورة التوبة ﴿إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عامًا ويحرمونه عامًا ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين﴾.

٢ - والمحذور الثاني من فعل الجاهلية، أنهم كانوا يتشاءمون من شهر صفر وأنه شهر مشؤوم، فكانوا يمنعون السفر، أو الحرب فيه، وأن من سافر فيه لقي حتفه أو ما يضره. وقد أبطل النبي ﷺ ذلك: كما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر». فقال أعرابي: يا رسول الله: فما بال الإبل تكون في الرمل كأنها الظباء، فيخالطها البعير الأجرب فيجربها؟! فقال ﷺ: فمن أعدى الأول؟!

والتشاؤم بشهر صفر أو بيوم الجمعُة أو يوم السبت أو غيرها من الأوقات أو بالمخلوقات أو بالطيور كله من جنس الطيرة التي نهى عنها النبي ﷺ، وعدَّها شركًا، كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «الطيرة شرك، وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل». رواه أهل السنن إلا النسائي وروى الإمام أحمد وغيره عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك. قال: وكفارة ذلك أن يقول أحدُهم: اللهم لا طير إلا طيرك، ولا خير إلا خيرك ولا إله غيرك».

أو يقول كما جاء في حديث عروة بن عامر رضي الله عنه قال: ذُكرتْ الطيرة عند رسول الله ﷺ فقال: «أحسنها الفأل، ولا ترد مسلمًا. فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك». رواه أبو داود والبيهقي والبغوي وغيرهم.

وما هذا العلاج والدواء بهذين الدعائين الجامعين منه ﷺ إلا لعلاج ما قد يطرأ على الخاطر من أمر التطير والتشاؤم، فيدافع بالاعتقاد الحق في الله وقدره، وترك الحول والقوة بغيره سبحانه. والواقع أن الذنوب أعظم شؤما وأعظم خطرًا. ويجب على المسلم أن يحفظ دينه وقلبه وعقيدته من هذه القوادح والخوارم التي تخرم إيمانه وتوحيده بالله، كما يجب عليه أن يصحح قصده وتعلقه بربه من شوائب الجهل والعوائد الفاسدة، ويتواصى بذلك مع أهله وإخوانه المسلمين، دعوةً ونصحًا ومجاهدةً لما يرد من هذه البدع والمخالفات.

وفق الله المسلمين لذلك، وأعاننا وإياهم على حسن عبادته وكمال التعلق به، وحفظنا من ضد ذلك مما يقدح في مقاصدنا وأقوالنا وأفعالنا وهو سبحانه ولي التوفيق.

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

جزاء من شكر

كتبه: صلاح عبد المعبود

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده... وبعد:

لكي يستقيم أمر الحياة ترى الناس على عادتهم يستحسنون عمل الخير ويكبرون من قام به ويمتدحون فعلته، بل وتتذكره الخلائق جيلاً بعد جيل، كما يمجدون عمله ويثنون على سيرته ويجعلونه مثلاً يحتذى، وفي مقابل هذا جرت عادة الناس أيضًا على أنهم يستقبحون العمل الشائن ويندون بفاعله ويطلبون من الآخرين ردعه عما اقترف، بل ويجهرون بإنزال العقوبة به إذا ما أحدث ضررًا للغير.

والإنسان بطبعه ينفر من الأعمال القبيحة التي تلحق الضرر به وبغيره من الناس، ولكنه يألف الأعمال الصالحة التي تجلب الطمأنينة والخير لأبناء المجموعة البشرية، وعلى هذا جرت سنة الله بمعاقبة المقصر ومكافأة المجد، فيعاقب المقصر ليرتدع من عمله الطائش وليكون عبرة لغيره، ويكافأ المجد ليزداد إحسانًا في عمله ويكون قدوة حسنة للغير، يقتدى به ويعم نفعه سائر الناس.

ولله في خلقه شئون، فما جرى عليه أمر الناس من ضرورة إنزال العقوبة فيمن يظلم الآخرين ويلحق بهم الضرر، أمر يأتي وفق سنة الله في الخلق، فهو الذي خلقهم أول مرة وأسكنهم هذه الأرض، أراد لهم الخير واستن لهم سننًا ثابتة لا يحيدون عنها، فإن هم خرجوا عن أمر الله ظهرت سنة الله تعالى بارزة إلى الناس لا تشوبها شائبة، وإن من سنن الله في خلقه أنه يهلك الأقوام التي تحيد عن شرعته ثم يستبدلهم بأقوام آخرين، ويحذر هؤلاء أنه أهلك من قبلهم لسوء فعالهم، وهكذا.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ. ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلاَئِفَ فِي الأَرْضِ مِن بَعْدِهِم لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ١٣، ١٤]

والقرآن الكريم حجة الله على الناس جميعًا، وقد حدثنا في كثير من آياته العظام عن حال أولئك الأقوام وما جرى عليهم نتيجة لأعمالهم السيئة وكيف كانت نتيجتهم وما آل إليه مصيرهم.

عاقبة المكذبين بآيات الله

لما كذب قوم هود بما جاءهم من الحق أرسل الله عليهم ريحًا شديدة البرد في يوم مشؤوم وعذاب دائم، وكانت الريح تقتلع الناس من مواضعهم وترميهم في أماكن أخرى، وذلك عذاب الله وعقابه إلى أولئك القوم الذين خرجوا عن أمر الله، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ. إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ. تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ. فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ. وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٨- ٢١]

ولقد كذب قوم صالح بالآيات الباهرات التي جاءتهم من عند الله وأخذهم العجب والغرور؛ إذ كيف يتبعون واحدًا من آل ثمود؟ أهم في ذهاب عن الصواب أم هم في جنون؟ كيف يتبعونه وهم يعتقدون أنه لا يعرف الصدق في حياته؟.

بل وأعجب من هذا أنه جاءهم بأمر الناقة يخبرهم فيها أن الماء الذي يشربونه قسمة بينهم وبينها... يا للعجب!! كيف يساويهم بحيوان أعجم وهم على ما هم عليه من الأنفة والشموخ، إنه امتحان من الله، فتنادوا فيما بينهم بالحض على عقر هذا المخلوق المنافس لهم والتخلص منه جهد المستطاع، فجاء أحدهم

وعقرها متخلصًا منها ومن هذا البلاء الذي أحاق به وبقومه، فماذا كانت عاقبة أمر هؤلاء القوم الذين عصوا أمر ربهم؟

إنها صيحة جبريل عليه السلام وقد أمره رب العزة سبحانه وتعالى فأصبحوا وكأنهم القمح الذي ديس وصار هشيمًا: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ. فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ. أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ. سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ. إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ. وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ. فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ. فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ. إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ. وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ٢٣- ٣١]

وقوم لوط كذبوا نبيهم عليه السلام، فبعد أن أذن الله له أن يسري بأهله قبل طلوع الفجر ويترك قومه الذين ناصبوه العداء، إذ كان سبيلهم معه اللجاجة والعناد. وكلما خوفهم من عذاب الله ازدادوا صلفًا وغرورًا، حتى أنهم أرادوا تمكينهم ممن كان عنده من الملائكة وهم أضيافه وما كان أمرهم إلا العقاب من الله، بأن طمس على أعينهم فأعمى أبصارهم، وأرسل عليهم ريحًا شديدًا تحتوي على الحصى الصغير، ثم جاءهم من الصباح الباكر ذلك العذاب الشديد فقلبت قريتهم، وجعل أعلاها أسفلها ولم ينج إلا لوط والذين آمنوا معه: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ. إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ. نِعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ. وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ. وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ. وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ. فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [القمر: ٣٣- ٣٩]

وفرعون وقومه أمرهم ليس بالعجب في سنة الله في خلقه، فلما جاءهم موسى وهارون عليهما السلام بآيات الله، كذبوا تلك المعجزات الباهرات فكان عقاب الله القادر أن أغرق القوم المعاندين وجعلهم عبرة لمن جاء من بعدهم: ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ. كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٤١، ٤٢]

فهذه سنة الله وتلك عاقبة الذين ظلموا وعصوا أمر ربهم، والله تعالى يذكرنا في القرآن العظيم بأن الكفر ملة واحدة، وليس كفار هذا الزمان خيرًا ممن تقدم من الأمم الذين أُهلكوا بكفرهم، وليس لكفار هذا الزمان - ومن خرج عن طاعة ربه - ليس لهم أمان وسلامة من العقوبة في الدنيا، وليس لهم براءة من عذاب الآخرة، فسنة الله ثابتة لا تتغير.

فالمجرمون في تيه وضلال وبُعد عن الله سبحانه وتعالى، ولذلك فهم آتيهم الخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءةٌ فِي الزُّبُرِ. أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ. سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ. بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾ [القمر: ٤٣- ٤٦]

والله تعالى حكمه ماض فيمن خرج عن شرعته وتنكب عن جادة الصواب، بأن يهلك الكافرين ومن على شاكلتهم.

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ. يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ. إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ. وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ. وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ. وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ. وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ [القمر: ٤٧- ٥٣]

أما الذين اتقوا ربهم وأنابوا إليه وأطاعوه فلهم البشرى في الحياة الدنيا، لهم موضع لا لغو فيه ولا تأثيم ألا وهو الجنة: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ. فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٤، ٥٥]

فيا أيها العاقل، اختر طريقك في هذه الحياة، ولا بد أن يكون طريق الخير؛ لتنجو من مزالق الدنيا وعذاب يوم القيامة، واستعن بالله وسر في طريقه- طريق الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين- لتفوز بالسعادة في الدنيا والآخرة.

والله من وراء القصد.

ولباسُ التقوى ذلك خير

بقلم / محمد أيمن الشبَّراوي

التقوى سر السعادة في الدارين الدنيا والآخرة، والتقي بحق هو الذي يخشى الله في سره وعلنه، يحافظ على أوامر الله تعالى ورسوله ﷺ، ويجتنب الذي حرمه الله تعالى ورسوله ﷺ، فهو يعيش في كنف الله، يحفظه الله سبحانه بعنايته، ويكلؤه برعايته ﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾.

وألبسة الناس تختلف باختلاف الأشخاص، وتختلف مع اختلاف أفعالهم وأقوالهم، فالأفعال والأقوال تدل على ما في القلوب، إنما جعل اللسان على القلب دليلا، فالناس على ثلاثة أنواع وأصناف :

النوع الأول : من يلبس لباس الخير، وباطنه شرٌّ من ظاهره.

النوع الثاني: من يلبس لباس الأشرار الأشقياء، وظاهره وباطنه سواء أو أحدهما أشد سوادًا من الآخر نسأل الله العافية.

النوع الثالث : من يلبس لباس الخير، وظاهره مثل باطنه، أو خير من ظاهره.

أما النوع الأول: الذي يلبس لباس الخير، وباطنه شر من ظاهره، فهو المنافق المخادع الذي باع آخرته بدنياه، أراد أن يحصل على رضا الناس؛ فأسخط الله تعالى؛ ليرضي المخلوق الضعيف الذي لا حول له ولا قوة، ولا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا، فكانت النتيجة أن سخط الله تعالى عليه، وأسخط عليه الناس، وكان عاقبة أمره خسرًا، ومثال ذلك في محكم التنزيل: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين. يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون. في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضًا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون﴾، لقد باعوا أنفسهم في سوق النخاسة والنذالة فاشتروا الذي هو أدنى بالذي هو خير وأبقى، فكان أن مكر الله بهم، والله أشد مكرًا وكيدًا جزاءً وفاقًا، وقد ظنوا أنهم استطاعوا أن يخدعوا الله والذين آمنوا، فمكروا بأنفسهم وهم لا يشعرون، فوقعوا في مكرهم السيئ ﴿ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله﴾.

والغريب أنهم قد ظنوا أنهم مصلحون أتقياء أنقياء وليسوا كذلك، لقد لبسوا لباسين؛ لباسًا يلبسونه أمام الأخيار الأتقياء، ولباسًا يلبسونه أمام الفجرة الأشرار يجالسون المؤمنين بلسان أحلى من العسل وقلوب أمر من الصبر، وإذا انصرفوا من مجالستهم للمؤمنين سلقوهم بألسنة حداد ليرضوا شياطينهم في سبيل عرض زائل من أعراض الدنيا الفانية ﴿وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون. أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين. مثلهم كمثل الذي استوقد نارًا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون﴾ [البقرة:١٣-١٧]، خسروا أنفسهم، بل وخسروا الدنيا والآخرة، وكالوا بمكيالين، ولم يصدقوا الله والذين آمنوا فأخزاهم الله في الدنيا بأن فضح أمرهم للمؤمنين أولي الأبصار والألباب، كما أخزاهم في الآخرة أمام الخلائق، فحلوا دار الخسران والبوار، ﴿فلو صدقوا الله لكان خيرًا لهم﴾ [محمد:٢١]، وصدق فيهم قول الحبيب ﷺ: «إن من شر الناس ذا الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه» أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما.

﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرًا﴾ [النساء:١٤٥].

وصدق في هؤلاء المثل القائل: «وعلى نفسها جنت براقش».

أمَّا الصنف الثاني من الناس: من يلبس لباس الأشرار الأشقياء، وظاهره وباطنه سواء أو أحدهما أشد سوادًا من الآخر؛ يعرفه أولو

الأبصار والألباب ذوو الفراسة بسهولة ويسر، لسانه دومًا يقطر مرارة، تراهم يطعنون في القيم الثابتة في الكتاب والسنة، تراهم يستهزئون بالنقاب، ويرمون صويحباته بالبهتان والإفك المبين، فهي رجل متنكر دخل يرتكب المنكرات والفواحش أو دخل ليسرق، أو جلس في مكان امرأة أخرى في لجان الامتحانات، وكأن الجريمة ليس لها من يرتكبها إلا صويحبات النقاب العفيفات الطاهرات، المجتمع نظيف كل النظافة من الشر وبواعثه إلا من هؤلاء المنتقبات اللائي أسدلن على وجوههن النقاب لكي لا يراهن الرجال امتثالا لأمر الله ورسوله، وطهرًا وعفافًا وخوفًا من الله، طمعًا في دخول الجنة، والفرار من النار، فصبرًا أيتها الأخت المسلمة العفيفة، لا تضيقي ذرعًا بهؤلاء، لا تخلعي نقابك لأجل هؤلاء وسخرياتهم واستهزائهم بك وإفكهم في حقك لا... لا... لا تخلعي نقابك... استمري في التزامك... علمي بنات جنسك الالتزام بالنقاب... علميهن العفاف، علميهن الخشية من الله، نقابك هذا دعوة لهن إلى الالتزام، ولا يهولنك إرجاف المرجفين واستهزاء المستهزئين وحسبك قول الله عز وجل: ﴿ إن ربك لبالمرصاد ﴾، ﴿وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله إن الله عزيز ذو انتقام﴾.

﴿ إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون. وإذا مروا بهم يتغامزون. وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين. وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون. وما أرسلوا عليهم حافظين. فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون. على الأرائك ينظرون. هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون﴾.

أمّا النوع الثالث: من يلبس لباس الخير، وظاهره مثل باطنه، أو خير من ظاهره، فهو الذي لبس لباس الخير والتقى، وظاهره مثل باطنه، وقد يكون باطنه خيرًا من ظاهره؛ يخفي عمله الصالح ويكتمه حتى لا يحبط عمله، قلبه سليم دائمًا من حب المعاصي والشهوات الخفية، قلبه مليئ بالإيمان إلى مشاشه، فلا يتكلم إلا بالخير، وإذا سكت تحرك قلبه كالمرجل من خشية الله والتفكير في آياته الكونية، يذكر الله بقلبه قبل أن ينطق لسانه، تراه يحب لإخوانه ما يحب لنفسه كما وصَّى الحبيب ﷺ، لا يوالي أعداء الله مهما كانت المنافع الدنيوية الزائلة، قلبه يحب كل المؤمنين الأوفياء المخلصين، ويبغض من قلبه كل كافر عنيد، وكل منافق مخادع عتيد، فقلبه دائما قبل جسده يأرز إلى أهل الإيمان والصلاح، يبتغي مرضاة الله تعالى في كل أقواله وأعماله وحركاته وسكناته، فدخل في حزب الله تعالى، فرضي عنه سبحانه، وأرضى عنه المخلوقين، ووضع له القبول في الأرض، فكان له الثناء الجميل من الناس مؤمنهم وكافرهم على السواء، وكانت له الجائزة الكبرى، والهدية العظمى من الله تعالى إذْ بشره رسول الله ﷺ بالجنة وهو يمشي بين الناس يسمع ثناءَهم عليه بأُذُنيه كما قال الحبيب الشفيع ﷺ: «أهل الجنة من ملأ الله أذنيه من ثناء الناس خيرًا، وهو يسمع، وأهل النار من ملأ أُذُنيه من ثناء الناس شرًا وهو يسمع» أخرجه ابن ماجه (٤٢٢٤) بإسناد حسن عن ابن عباس مرفوعًا.

فهو مبشر وهو في دنياه بالجنة يسمع ثناء الناس عليه وهو يمشي بينهم، يثني الناس على أي عمل يعمله من أعمال الخير ويحبونه كما قال أبو ذر للنبي ﷺ: الرجل يعمل العمل لله، فيحمده الناس عليه؟ قال: ذلك عاجل بشرى المؤمن» وهو حديث صحيح، فقد ثبَّت الله عز وجل قلبه على الإيمان قبل أن يثبت جوارحه على الطاعة؛ لا طلاعه على حبه له سبحانه ولأهل الإيمان، فوفقه الله عز وجل في طريق الإيمان، وسدّد خطاه، وكلل أعماله بالنجاح، وحفظه من كيد أعدائه، لأنه نصر الله بطاعته وطاعة رسوله ﷺ ﴿ وكان حقًا علينا نصر المؤمنين ﴾ [الروم:٤٧]، اللهم اجعل قلوبنا عامرة بالإيمان، واهدنا واهدِ أولادنا إلي صراطك المستقيم، واجعلنا وإياهم هداة مهتدين غير ضالين ولا مضلين بفضلك ومنِّك يا كريم يا جواد.

والله وحده من وراء القصد.

توحيد الله

إن الله جلّت حكمتُه وعظمته وقدرتُه وتعالى جاهه بعث الأنبياء مبشرين ومنذرين وأرسل معهم الدلائل القاطعة والبراهين الساطعة والحجج الباهرة وأنزل عليهم الكتب ليقوم الناس بالقسط، ويعملوا بالعدل الذي قامت عليه السموات والأرض، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد:٢٥]، فالدين الذي جاءت به الرسل كلُّه عدلٌ وقسط.

وليس من العدل في شيء أن يَعبدَ الإنسانُ غير خالقِه ورازقه ومدبِّر أمره.

وليس من العدل في شيء أن ينسى الإنسانُ العهد والميثاق الذي قطعه معه ربُّه وأودعه فطرته، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا...﴾ [الأعراف:١٧٢]، فقد جعل الله هذه الشهادة قرين الفطرة، قال رسول الله ﷺ: «ما من مولود إلا يُولَدُ على الفطرة، فأبواه يُهوِّدانه، أو يُنصِّرانه، أو يُمجِّسانه، كما تُنْتَجُ البهيمةُ بهيمةً جمعاء(١)، هل تُحسُّون فيها من جدعاء(٢)». ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه (راوي الحديث): ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله﴾ [الروم:٣٠](٣).

ففطرة الإنسان التي فطر الله الناس عليها مقتضية لمعرفة الله والإقرار بربوبيته والإذعان للحق وقبوله وإرادته، فلو تُرك الإنسان وفطرتَه بعيدًا عن الانحراف والفساد ما كان إلا مسلمًا، وقد قال رسول الله ﷺ مبلغا عن ربه: «إني خلقتُ عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرَّمت عليهم ما أحللتُ لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أُنزِّل به سلطانًا»(٤).

فالفطرة السليمة تتوجه تلقائيًا إلى عبادة الله الخالق البارئ المصوِّر، فكيف يخلق ويُعْبَد غيرُه؟ وكيف يَرزق ويُؤلَّه سواه؟ فبعث الله الأنبياء والرسل ﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء:١٦٥]؛ وذلك لتذكير الناس بعبادة الله الواحد الأحد، خالقِهم ورازقهم.

ولذا فإن الحقيقة الثابتة في كل الرسالات السماوية جميعها: عبادةُ الله وتوحيدُه توحيدًا كاملا خالصًا شاملا وعدمُ صرف شيء من العبادة لغيره سبحانه لتتجه العوالم كلها إلى ربٍّ واحد وإله واحد لا إله سواه، تقرّ له بالسيادة المطلقة، وتنفض عن كاهلها زحمة الأرباب المتفرقة، وتحرر العقيدة من كل ركام التصورات والأفكار الخاطئة والفلسفات والأوهام والأساطير التي عكرت صفو الفطرة السليمة، فجاءت كل الرسالات بمبدأ واحد هو الإيمان بوجود الله الحق ووحدانيته وإفراده بالعبادة واتصافه سبحانه بكل صفات الكمال والجلال والجمال.

فجميع الأنبياء قالوا لأقوامهم: ﴿يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾(٥) فهكذا افتتح كل رسول من الرسل دعوته بالدعاء إلى عبادة الله وحده، وهكذا قال نوح وهود وصالح وشعيب وإبراهيم، وغيرهم من أنبياء الله ورسله صلوات الله عليهم أجمعين، يقول الله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ [الأنبياء:٢٥]، وقال تعالى: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ [النحل:٣٦]، وقال تعالى: ﴿ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون﴾ [النحل:٢]، وقال تعالى: ﴿إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا إلا الله﴾ [فصلت:١٤]، وقال تعالى: ﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحًا إني بما تعملون عليم * وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون﴾ [المؤمنون:٥١-٥٢].

وكذا كان يقول رسولنا محمد ﷺ، فعن أشعث بن أبي الشعثاء قال: حدثني شيخ من بني مالك

في رسالات الله

بقلم / مجدي قاسم

بن كنانة قال: رأيتُ رسول الله ﷺ بسوق ذي المجاز يتخللها يقول: «يا أيها الناس! قولوا لا إله إلا الله تفلحوا»(٦)، وقال أيضًا رسول الله ﷺ: «بُعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يُعبدَ الله وحده لا شريك له»(*).

وقال تعالى آمرًا نبيه ﷺ: ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ [الحجر:٩٩]، وقال تعالى: ﴿فاعبده وتوكل عليه﴾ [هود:١٢٣]، وقال تعالى: ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣]، وقال تعالى: ﴿قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصًا له الدين * وأمرت لأن أكون أول المسلمين * قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم * قل الله أعبد مخلصًا له ديني * فاعبدوا ما شئتم من دونه﴾ [الزمر:١١-١٥].

ولذا قال تعالى: ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم * الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ [البقرة:٢٥٦-٢٥٧]، وقال رسول الله ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يُعبد من دون الله؛ حَرم مالُه ودمُه، وحسابُه على الله»(٧).

فما شرعه الله سبحانه لهذه الأمة هو نفسه ما شرعه للأمم السابقة ومنهم أمة موسى وعيسى عليهما السلام، فقد قال تعالى: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحًا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾ [الشورى:١٣]، فالدين واحد(٨) والعقيدة في الله التي بُعث به الرسل واحدة، قال رسول الله ﷺ: «الأنبياء إخوة لعَلات(٩)، أمهاتهم شتى ودينهم واحد»(١٠)، والإيمان بالله يستتبع الإيمان بجميع أنبياء الله ورسله وعدم التفرقة بين رسل الله، قال تعالى: ﴿ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدًا﴾ [النساء:١٣٦]، وقال تعالى: ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾ [البقرة:٢٨٥] ويقول تعالى: ﴿إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا، أولئك هم الكافرون حقًا﴾ [النساء:١٥١-١٥٢].

فالتوحيد هو الذي أُرسلت الرسل وأُنزلت الكتب من أجله، وشُرع الجهاد من أجله، وبتحقيقه تكون النجاة من النار والفوز بالجنة، فهو أساس العبادة ورأسها، وهو عبادة الله الواحد الأحد الفرد الصمد لا إله غيره ولا ربَّ سواه، ومَن دونه عبدٌ مخلوق مربوب تحت مشيئته وقهره، فالله هو وحده المستحق للعبادة دون سواه، قال تعالى: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا﴾ [النساء:٣٦].

بل ما خلق الله الخلق إلا لعبادته وحده، قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون * ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون * إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾ [الذاريات:٥٦-٥٨]، وقال تعالى عن اليهود والنصارى: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء...﴾ [البينة:٥].

ولأن التوحيد هو أوجب الواجبات وأهم المهمات كان أول أمر في القرآن: الأمر بالتوحيد في قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون * الذي جعل

لكم الأرض فراشًا والسماء بناءً وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقًا لكم فلا تجعلوا لله أندادًا وأنتم تعلمون﴾ [البقرة:٢١-٢٢]، بل جاء في سورة الفاتحة: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ [الفاتحة:٥]، وعبادة الله يدخل فيها جميع ما يحبه الله ولها أصلان: أن لا يعبد إلا الله وحده وأن لا يُعْبَدَ إلا بما أمر وشرع، قال تعالى: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحًا ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا﴾ [الكهف:١١]، وقال تعالى: ﴿بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ [البقرة:١١٢]، وقال تعالى: ﴿ومن أحسن دينًا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفًا واتخذ الله إبراهيم خليلا﴾ [النساء:١٢٥].

وهذا التوحيد هو الفارق بين الموحدين والمشركين، وعليه مدار الجزاء والثواب في الآخرة، قال تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [النساء:٤٨]، وقال تعالى: ﴿ومن يدع مع الله إلهًا آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون﴾ [المؤمنون:١١٧]، وقال تعالى: ﴿ومن يشرك بالله فكأنما خرّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق﴾ [الحج:٣١]، وقال تعالى: ﴿إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾ [غافر:٦٠]، وقال تعالى: ﴿ولا تجعل مع الله إلهًا آخر فتلقى في جهنم ملومًا مدحورًا﴾ [الإسراء:٣٩]، وقال تعالى: ﴿لا تجعل مع الله إلهًا آخر فتقعد مذمومًا مخذولا﴾ [الإسراء:٢٢]، وقال تعالى: ﴿ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين﴾ [الزمر:٦٥]، وقال تعالى: ﴿فلا تدع مع الله إلهًا آخر فتكون من المعذبين﴾ [الشعراء:٢١٣].

وقد أخذ الله العهد والميثاق على ذلك، قال تعالى: ﴿وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقًا غليظًا ليسأل الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذابا أليما﴾ [الأحزاب:٧،٨]، وقال: ﴿وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله﴾ [البقرة:٨٣]، وقال تعالى: ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئًا ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾ [آل عمران:٦٤].

ولذا، وبالرغم من كل ما لحق بالكتب السابقة من تحريف وتبديل وتغيير كما أخبرنا ربنا في كتابه الكريم(١١)، إلا أنه لا تزال نصوص واضحة صريحة تأمر بالتوحيد.

ونكمل في العدد القادم إن شاء الله تعالى..

الهوامش

(١) أي سليمة الأعضاء، لم يذهب من بدنها شيء، سُمِّيت بذلك لاجتماع أعضائها.

(٢) أي مقطوعة الأذن، وهذا تشبيه لصمم الكفار عن الحق. وانظر فتح الباري (٣/٢٩٥).

(٣) حديث متفق عليه: رواه البخاري (ح١٣٥٨) ومواضع، ومسلم (ح٢٦٥٨)، وغيرهما.

(٤) رواه مسلم (ح٢٨٦٥).

(٥) انظر: (الأعراف٥٩/، ٥٦، ٧٣ ،٨٥)، (هود/ ٥، ٦، ٨٤)، (المؤمنون/ ١٢٣)، (النمل/ ٤٥)، (العنكبوت/ ١٦، ٣٦)، (الأحقاف/ ٢١)، (نوح/ ١، ٣)

(٦) رواه أحمد (٤/٦٣) بسندٍ صحيح.

(٧) رواه مسلم ح (٥٣).

(*)رواه أحمد (٢/٥٠)، وانظر البخاري كتاب الجهاد.

(٨) قال تعالى: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ [آل عمران:١٩]، وقال: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ [آل عمران:٨٥]، وقال: ﴿ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من عب﴾

(٩) العَلات: الضرائر، وأولاد العلات: الإخوة من الأب، وانظر فتح الباري (٦/٥٦٤).

(١٠) متفق عليه: رواه البخاري (ح٣٤٤٢، ٣٤٤٣)، ومسلم (ح٢٣٦٥).

الحافظ العابد (سعيد بن جبير)

بقلم / مجدي عرفات

اسمه ونسبه: هو سعيد بن جبير بن هشام أبو محمد ويقال أبو عبد الله الأسدي الوالبي مولاهم الكوفي أحد الأعلام.

مولده: ولد في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

شيوخه: روى عن ابن عباس فأكثر وجود وعن عائشة وأبي موسى الأشعري وطائفة من التابعين.

تلامذته والرواة عنه: روى عنه أبو صالح السمان وأيوب السختياني وحبيب بن أبي ثابت والأعمش وعبد الكريم الجزري وعطاء بن السائب وعمرو بن دينار ومجاهد بن جبر رفيقه والزهري وأبو الزبير المكي وخلق كثير.

ثناء العلماء عليه: كان ابن عباس إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه. يقول: أليس فيكم ابن أم الدهماء؟ يعني سعيد بن جبير.

قال أشعث بن إسحاق: كان يقال سعيد بن جبير جهبذ العلماء.

* قال له ابن عباس: حدّث، قال: أحدث وأنت هاهنا؟ قال: أوليس من نعمة الله عليك أن تحدث وأنا شاهد فإن أصبت فذاك وإن أخطأت علّمتك.

* سأل رجل ابن عمر عن فريضة فقال له: ائت سعيد بن جبير فإنه أعلم بالحساب مني وهو يفرض فيها ما أفرض.

* قال علي بن المديني: ليس في أصحاب ابن عباس مثل سعيد بن جبير، قيل ولا طاووس؟ قال: ولا طاووس ولا أحد.

* عن خصيف قال: كان أعلَمَهم بالقرآن مجاهد وأعلَمَهم بالحج عطاء وأعلَمَهم بالحلال والحرام طاووس وأعلَمَهم بالطلاق سعيد بن المسيب وأجمعهم لهذه العلوم سعيد بن جبير.

* قال أبو القاسم هبة الله بن الحسن الطبري هو ثقة إمام حجة على المسلمين.

* قال ابن حبان: كان فقيها عابدًا واصلا ورعًا.

قال أبو نعيم: ومنهم الفقيه البكاء والعالم العابد، السعيد الشهيد السديد الحميد أبو عبد الله بن جبير سعيد.

* قال ابن حجر: ثقة ثبت فقيه.

من أحواله وأقواله

عن أصبغ بن زيد قال: كان لسعيد بن جبير ديك كان يقوم من الليل بصياحه، فلم يصح ليلة من الليالي حتى أصبح فلم يُصلّ سعيد تلك الليلة فشق عليه، فقال: ما له قطع الله صوته؟ فما سُمع له صوت بعد، فقالت له أمه: يا بني لا تدع على شيء بعدها.

* قال عمر بن حبيب: كان سعيد بن جبير

بأصبهان لا يحدث ثم رجع إلى الكوفة فجعل يحدث فقلنا له في ذلك فقال: أنشر بَزَّك حيث تعرف.

* قال هلال بن يساف: دخل سعيد بن جبير الكعبة فقرأ القرآن في ركعة.

قال الذهبي: هذا خلاف السنة وقد صح النهي عن قراءة القرآن في أقل من ثلاث.

* قال القاسم بن أبي أيوب: سمعت سعيد بن جبير يردد هذه الآية في الصلاة بضعًا وعشرين مرة ﴿واتقوا يومًا ترجعون فيه إلى الله...﴾ الآية.

* قال سعيد: التوكل على الله جماع الإيمان، وكان يدعو اللهم إني أسألك صدق التوكل عليك وحسن الظن بك.

* قال: لأن أنشر علمي أحب إليّ من أن أذهب به إلى قبري.

* قال له هلال بن خباب: ما علامة هلاك الناس؟ قال: إذا ذهب علماؤهم.

قلت: فالعلماء هم سبيل النجاة فمن خالفهم أو تكلم فيهم فهو مع الهالكين.

* قال عباد بن العوام أنبأنا هلال بن خباب: خرجنا مع سعيد بن جبير في جنازة فكان يحدث في الطريق ويذكرنا حتى بلغ فلما جلس لم يزل يحدثنا حتى قمنا فرجعنا وكان كثير الذكر لله.

* قال القاسم الأعرج: كان سعيد بن جبير يبكي بالليل حتى عمش.

* قال سعيد: لدغتني عقرب فأقسمت عليّ أمي أن أسترقي فأعطيت الراقي يدي التي لم تلدغ وكرهت أن أحنثها.

* وقال: لو فارق ذكر الموت قلبي لخشيت أن يفسد عليّ قلبي.

وقال: أتيت ابن عباس فكتبت في صحيفتي حتى أملأها وكتبت في نعلي حتى أملأها وكتبت في كفّي.

* كان سعيد ممن خرج مع القراء على الأمراء على غير هدي أهل السنة عفا الله عنا وعنه، وقد رويت في ذلك أخبار كثيرة كثيرها لا يثبت.

* قال الربيع بن أبي صالح: دخلت على سعيد بن جبير حين جيء به إلي الحجاج فبكى رجل فقال سعيد: ما يبكيك؟ قال: لما أصابك قال: فلا تبك، كان في علم الله أن يكون هذا ثم تلا ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها﴾.

* عن أبي حصين قال: رأيت سعيدًا بمكة فقلت: إن هذا قادم - يعني خالد بن عبد الله ولست آمنه عليك، قال: والله لقد فررت حتى استحييت، قال الذهبي: طال اختفاؤه فإن قيام القراء على الحجاج كان في سنة اثنتين وثمانين وما ظفروا بسعيد إلى سنة خمس وتسعين السنة التي قلع الله فيها الحجاج.

وقال داود بن أبي هند: لما أخذ الحجاج سعيد بن جبير قال: ما أراني إلا مقتولا، وسأخبركم: إني كنت وصاحبان لي دعونا حين وجدنا حلاوة الدعاء ثم سألنا الله الشهادة فكلا صاحبيّ رزقها وأنا انتظرها فكأنه رأى أن الإجابة عند حلاوة الدعاء.

قال الذهبي: ولما علم من فضل الشهادة ثبت للقتل ولم يكترث ولا عامل عدوه بالتقية المباحة له، رحمه الله تعالى.

* قال يزيد بن أبي زياد: أتينا سعيدًا فإذا هو طيب النفس وبنته في حجره فبكت وشيعناه إلى باب الجسر، فقال الحرس له، أعطنا كفيلا فإنا نخاف أن تُغرق نفسك قال: فكنت فيمن كَفَل به، قال أبو بكر بن عياش: فبلغني أن الحجاج قال: ائتوني بسيف عريض.

* قال سليمان التيمي: كان الشعبي يرى التقية وكان ابن جبير لا يرى التقية، وكان الحجاج إذا أتي بالرجل - يعني ممن قام عليه - قال له: أكفرت بخروجك عليّ؟ فإن قال: نعم؛ خلى سبيله فقال لسعيد: أكفرت؟ قال: لا، قال: اختر لنفسك أي قتلة أقتلك، قال: اختر أنت فإن القصاص أمامك.

وفاته:

كان قتله في شعبان سنة خمس وتسعين رحمه الله تعالى.

سنة الابتلاء

بقلم / متولى البراجيلي

الحلقة الأولى

سأل رجلٌ الإمام الشافعي - رحمه الله -: يا أبا عبد الله أيما أفضل للرجل أن يُمكَّن أو يبتلى؟

فقال الشافعي: لا يمكن حتى يبتلى، فإن الله ابتلى نوحًا وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمدًا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فلما صبروا مكنهم، فلا يظن أحد أنه يخلص من الألم البتة.

فالابتلاء سنة الله التي لا تتخلف.

قال تعالى: ﴿تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير، الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾.

وقال تعالى: ﴿إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا﴾.

فالابتلاء أصل عظيم ينبغي للعاقل أن يعرفه، فأنت أينما تلفت رأيت مبتلى، كم من المصائب وكم من الصابرين، فلست وحدك المصاب، فهذا مريض ابتلي بمرضه العضال، وهذا حزين ابتلي بفقد أحبته، وهذا مكروب، وهذا مدين، وهذا ابتلي بابنه، وهذا ابتلي بزوجته، وهذه ابتليت بزوجها.

قال تعالى: ﴿لقد خلقنا الإنسان في كبد﴾.

وقال تعالى: ﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفةٍ أمشاجٍ نبتليه فجعلناه سميعًا بصيرًا﴾.

فابتلى الله الرسل بأممهم والأمم برسلهم، وابتلى الحكام بشعوبهم، والمحكومين بحكامهم وابتلى القوي بالضعيف والضعيف بالقوي.. وهكذا في المجتمع الواحد تتنوع المستويات وتتعدد الابتلاءات تحقيقًا للحكمة التي أراد الله أن يخلقهم من أجلها.

قال شيخ الإسلام في قوله تعالى: ﴿الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾.

فالناس إذا أرسل إليهم الرسل بين أمرين، إما أن يقول أحدهم آمنا، وإما أن لا يقول آمنا، بل يستمر على عمل السيئات، فمن قال آمنا امتحنه الرب عز وجل وابتلاه وألبسه الابتلاء والاختبار ليبين الصادق من الكاذب، ومن لم يقل آمنا فلا يحسب أنه يسبق الرب لتجربته، فإن أحدًا لن يعجز الله تعالى، هذه سنته تعالى، يرسل الرسل إلى الناس فيكذبهم الناس ويؤذونهم، قال تعالى: ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوًا شياطين الإنس والجن﴾.

وقال: ﴿كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون﴾.

وقال تعالى: ﴿ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك﴾.

ومن آمن بالرسل وأطاعهم عادوه وآذوه فابتلي بما يؤلمه، وإن لم يؤمن بهم عوقب، فحصل ما يؤلمه أعظم وأدوم.

فلا بد من حصول الألم لكل نفس سواءً آمنت أم

كفرت، لكن المؤمن يحصل له الألم في الدنيا ابتداءً ثم تكون له العاقبة في الدنيا والآخرة، والكافر تحصل له النعمة ابتداءً ثم يصير في الألم.

إن الإنسان مدني بالطبع، لا بد له أن يعيش مع الناس، والناس لهم إرادات وتصورات يطلبون منه أن يوافقهم عليها وإن لم يوافقهم آذوه وعذبوه، وإن وافقهم حصل له الأذى والعذاب تارة منهم وتارة من غيرهم، ومن اختبر أحواله وأحوال الناس وجد من هذا شيئًا كثيرًا، فالواجب ما في حديث عائشة الذي بعثت به إلى معاوية ويروى موقوفًا ومرفوعًا:

«من أرضى الله بسخط الناس كفاه الله مؤونة الناس».

وفي لفظ: «رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن أرضى الناس بسخط الله لم يغنوا عنه من الله شيئًا».

الرسل أسوة حسنة

قال تعالى: «أولئك الذين هدى الله، فبهداهم اقتده»، فأئمة الابتلاء هم رسل الله عليهم صلوات الله وسلامه، وأشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل.

محمد ﷺ خير من مشى على الأرض بقدميه، وهو أشد الناس ابتلاءً نشأ يتيمًا، كذبه قومه، وضع السلى على رأسه، وأدميت قدماه، وشجَّ وجهه، وحوصر في الشعب حتى أكل ورق الشجر، وأُخرج من بلده، وكسرت ثنيته، ورمي عرض زوجته الشريف، وقتل سبعون من أصحابه، وفقد ابنه، وأكثر بناته في حياته، وربط الحجر على بطنه من الجوع، واتهم بأنه شاعر، ساحر، كاهن، مجنون، كذاب، - صانه الله من ذلك. - وهذا بلاء لابد منه، وتمحيص لا أعظم منه.

وابتُلي إبراهيم عليه الصلاة والسلام بإلقائه في النار كما ابتلي بذبح ابنه بيده.

وابتُلي أيوب عليه السلام بالمرض الأليم، ومع ذلك صبر وما جزع، قال تعالى: ﴿إنا وجدناه صابرا﴾.

قتل زكريا عليه السلام، وذبح يحيى عليه السلام، وابتُلي سائر الأئمة على هذا الطريق، فضرج عمر بدمه، واغتيل عثمان، وطعن علي، وجلدت ظهور بعض الأئمة، وسجن الأخيار.

أنواع الابتلاء

الابتلاء يكون بالسراء والضراء، ولابد أن يبتلى الإنسان بما يسره وما يسوؤه.

قال تعالى: ﴿فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن﴾.

وقال تعالى: ﴿وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون﴾.

وها هو سليمان عليه السلام، لما رأى عرش بلقيس عنده، قال: هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر.

فالنعم ابتلاء من الله يظهر بها شكر الشكور وكفر الكفور، كما أن المحن ابتلاء منه سبحانه، فهو يبتلي بالنعم كما يبتلي بالمصائب.

فالإنسان يتقلب في هذه الحياة الدنيا بين سراء وضراء، قال ابن القيم: السعادة بثلاث شكر النعمة، والصبر على البلاء، والتوبة من الذنب، فالعبد دائم التقلب بين هذه الأطباق الثلاث:

١ - نعم من الله تعالى تترادف عليه، فقيدها الشكر، وهو مبني على ثلاثة أركان:

أ - الاعتراف بها باطنًا.

ب - التحدث بها ظاهرًا.

ج - تصريفها في مرضاة وليها ومسديها ومعطيها.

فإذا فعل ذلك فقد شكرها مع تقصيره في شكرها.

٢ - محن من الله تعالى يبتليه بها، ففرضه فيها الصبر والتسلي، والصبر حبس النفس عن التسخط بالمقدور، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن المعصية كاللطم وشق الثياب ونتف الشعر ونحوه.

فمدار الصبر على هذه الأركان الثلاثة، فإذا قام به العبد كما ينبغي انقلبت المحنة في حقه منحة.

فإن الله سبحانه وتعالى لم يبتله ليهلكه، وإنما ابتلاه ليمتحن صبره وعبوديته، فإن لله تعالى على العبد عبودية الضراء، وله عبودية عليه فيما يكره، كما له عبودية فيما يحب، وأكثر الخلق يعطون العبودية فيما يحبون، والشأن في إعطاء العبودية في المكاره، ففيه تفاوت مراتب العباد، وبحسبه كانت منازلهم عند الله تعالى.

نماذج من الابتلاء

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنه سمع النبي ﷺ يقول: إن ثلاثة في بني إسرائيل: أبرص وأعمى وأقرع بدا لله عز وجل أن يبتليهم فبعث إليهم ملكًا فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن وجلد حسن، قد قذرني الناس، قال: فمسحه فذهب عنه، فأعطي لونًا حسنًا وجلدًا حسنًا. فقال وأي المال أحب إليك؟ قال: الإبل أو قال البقر، هو شك في ذلك: أن الأبرص والأقرع قال أحدهما: الإبل، وقال الآخر: البقر، فأعطي ناقة عُشَرَاء، فقال: يبارك لك فيها، وأتى الأقرع فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال شعر حسن، ويذهب هذا عني، قد قذرني الناس.

قال فمسحه فذهب، وأعطى شعرًا حسنًا، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال البقر. قال: فأعطاه بقرة حاملا، وقال: يبارك لك فيها، وأتى الأعمى فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال يرد الله إلي بصري فأبصر به الناس، قال: فمسح فرد الله إليه بصره. قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأعطاه شاة والدًا، فانتج هذان وولَّد هذا فكان لهذا وادٍ من إبل، ولهذا واد من بقر، ولهذا واد من الغنم، ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال: رجل مسكين تقطعت به الحبال في سفره فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيرًا أتبلغ عليه في سفري. فقال له: إن الحقوق كثيرة. فقال له: كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناس؟ فقيرًا فأعطاك الله؟ فقال: لقد ورثت لكابر عن كابر، فقال: إن كنت كاذبًا فصيرك الله إلى ما كنت، وأتى الأقرع في صورته وهيئته فقال له مثل ما قال لهذا، فرد عليه مثل ما رد عليه هذا، فقال: إن كنت كاذبًا فصيرك الله إلى ما كنت، وأتى الأعمى في صورته فقال: رجل مسكين وابن سبيل وتقطعت به الحبال في سفره فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلَّغ بها في سفري، وقال له: قد كنت أعمى فرد الله بصري، وفقيرًا فقد أغناني، فخذ ما شئت فوالله لا أحمدك اليوم بشيء أخذته لله، فقال: أمسك مالك، فإنما ابتليتم فقد رضي عنك وسخط على صاحبيك. [متفق عليه]

فهذا ابتلاء بالنعم، أنعم الله عليهم، فما راعوا النعم وما قاموا بحقها، فاستلبت منهم وغضب الله عليهم، باستثناء ثالثهم الذي عرف فضل الله عليه، وأدى شكر نعمته فنال رضاه.

وهذه امرأة بألف امرأة، ابتليت بالضراء فصبرت مقابل الجنة:

عن عطاء: قال لي ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟

هذه المرأة السوداء، أتت رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله إني أُصْرع، فادع الله لي، فقال إن شئتِ صبرتِ ولك الجنة، وإن شئت دعوتُ الله أن يعافيكِ، فقالت أصبر. ثم قالت: يا رسول الله، إني أتكشف فادع الله لي أن لا أتكشف فدعا لها. [متفق عليه]

فهذه المرأة التي اشترت سلعة الله الغالية (الجنة) بالصبر على لأواء الصرع وشدته، تستحي أن يتكشف بعض جسدها، رغم أنها لا تؤاخذ على ذلك لغياب عقلها ساعة الصرع، ولكن هكذا ينبغي أن يكون حياء المرأة المسلمة.

وقارن بين ساكنة الجنة هذه، وبين أخريات يتكشفن برغبتهن وبكامل قواهن العقلية، رغم علمهن بحرمة ما يرتكبن، إلا أنهن لم يصبرن على ابتلاء الدنيا وزينتها وبعْنَ الآخرة بمتاع قليل.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى

أسباب اختلاف العلماء

بقلم: أسامة سليمان

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده... وبعد:

فإنه من رحمة الله بهذه الأمة أن الخلاف الناشئ بينها ليس في أصول دينها، وإنما وقع الخلاف في الفرعيات، وذلك نظرًا لاختلاف الفهم والإدراك، فقد يفهم عالم من النص ما لا يفهمه غيره، فالفهم رزق وعطاء، فابن عمر رضي الله عنهما بالرغم من حداثة سِنِّه بين الصحابة الأخيار، أدرك ما لم يدركه غيره، عندما سألهم النبي ﷺ عن الشجرة التي لا يسقط ورقها والتي تشبه المؤمن، ففهم ابن عمر أنها النخلة؛ لأن النبي ﷺ خرج عليهم وهو يأكل جُمَّارًا، ولكن منعه الحياء من الحديث، فعاتبه عمر رضي الله عنه، وابن عباس فهم من سورة النصر ما لم يفهمه سواه، حيث رأى أنها تشير إلى اقتراب أجل النبي ﷺ، ولأنه لا يمكن أن نتصور أن عالمًا ربانيًا يعلم الحق يتعمد أن يحيد عنه، فهذا محال في حقهم، لكن الخلاف يقع في العادة نظرًا لأسباب منها:

١- عدم بلوغ الدليل للمخالف:

ومن أمثلة ذلك ما وقع بين صحابة النبي ﷺ عند سفرهم لأرض الشام علموا أن بها وباء الطاعون، فاستشار عمر رضي الله عنه من معه من الصحابة رضوان الله عليهم فاختلفوا على رأيين؛ فريق يرى أنه لا بدَّ من دخولها لأن عدم دخولها فرار من قدر الله، وفريق يرى عدم الدخول أخذًا بالأسباب وبعدًا عن المرض، فظل الخلاف حتى جاء عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه ومعه الدليل الذي خفي على عمر رضي الله عنه ومن معه، وهو حديث رسول ﷺ: «إذا سمعتم به في أرض فلا تقدموا عليه، وإن وقع وأنتم فيها فلا تخرجوا فرارًا منه». رواه البخاري، كتاب الطب.

فأنت ترى أخي في الله أن الخلاف قد وقع بين الفريقين، لغياب الدليل، وبعد بلوغهم الدليل اتفق الجميع على رأي واحد.

وذلك أيضًا حدث عند اختلافهم بعد موت النبي ﷺ، على المكان الذي يدفن فيه حتى قطع الصديق الخلاف بما عنده من دليل سمعه من رسول ﷺ أن الأنبياء يدفنون حيث يموتون. ومن ذلك أيضًا خلاف ابن عباس وعلي رضي الله عنهم بشأن عدة المرأة التي مات عنها زوجها، فقد رأى أن عدتها بأطول الأجلين، وذلك لأن حديث سبيعة الأسلمية لم يصل إليه، حيث ثبت أنها وضعت الحمل بعد موت زوجها بليال فأذن لها النبي ﷺ أن تتزوج. وغاب عن الصديق رضي الله عنه حكم ميراث الجدة حتى بلغه الدليل.

وهكذا نرى أن الخلاف قد يقع نظرًا لغياب الدليل عن المخالف، لا لتعمد المخالفة.

٢- عدم الثقة في الدليل لمخالفته لما هو أوثق منه:

من ذلك ما وقع من عمر رضي الله عنه عندما رد حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها، حيث طلقها زوجها ثلاثًا وأرسل إليها مع وكيله بشعير كنفقة لها في عدتها، لكنها سخطت الشعير ولم تأخذه، فلما وصل الأمر إلى رسول ﷺ قال: «لا نفقة لها ولا سكنى».

رواه مسلم كتاب الطلاق، فليس للمطلقة ثلاثًا نفقة ولا سكنى إلا إذا كانت حاملاً فينفق عليها حتى وضع الحمل: ﴿وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٦].

ومع وضوح الدليل إلا أن عمر رضي الله عنه رده لاحتمال أن تكون فاطمة نسيت.

٣- عدم بلوغه نسخ الدليل مع صحته:

وفي ذلك يقول الحافظ ابن كثير: العلم مناط التكليف، وأن العمل بالمنسوخ جائز حتى ورود دليل النسخ، ذلك لأن من الصحابة رضوان الله عليهم من ظل يصلي إلى المسجد الأقصى بالرغم من أن القبلة قد تحولت لأنهم لم يصلهم النسخ وما أمروا بالإعادة، فالأصل عدم النسخ حتى يعلم الناسخ.

وهذا وقع أيضًا لابن مسعود رضي الله عنه عندما كان يطبق يديه عند ركوعه ويضعهما بين ركبتيه ولم يصله النسخ بوضعهما على الركبتين، حتى صلى بجواره علقمة والأسود فأنكر عليهما فأخبراه بالنسخ.

ولذلك فالخلاف قد يقع لأن المخالف لم يصله دليل النسخ.

٤- نسيان الدليل مع بلوغه للمخالف:

فعمر رضي الله عنه نسي ما كان بينه وبين عمار رضي الله عنه يوم أن أصابتهم جنابة فاجتهد عمار وتمرغ في التراب لظنه أن طهارة التراب كطهارة الماء، أما عمر رضي الله عنه فلم يصلِّ، فلما وصل الأمر إلى رسول ﷺ بين لهما الصواب بقوله لعمار: «إنما كان يكفيك أن تقول بيدك هكذا»، وضرب بيديه الأرض مرة واحدة، ثم مسح الشمال على اليمين، وظاهر كفيه ووجهه. رواه البخاري، كتاب التيمم.

ولقد أنكر عمر رضي الله عنه على عمار أن يحدث بهذا الحديث في خلافته، فلما ذكره عمار به، أذن له بالتحديث به، فأنت ترى أن عمر رضي الله عنه قد نسي ما كان بينه وبين عمار، فلما ذكره تذكر وأذن له بالحديث به، فالذاكر حجة على الناسي كما يقول علماء الأصول.

٥- الفهم من الدليل على خلاف المراد:

فكما بينا سلفًا أن الأفهام تختلف فقد يفهم عالم من الدليل ما لم يفهمه الآخر، ومن ذلك فهم بعض الفقهاء أن الباء في قوله تعالى: ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ للتبعيض مع أن ذلك يخالف ما ثبت عن رسول ﷺ في مسح كامل الرأس مقبلاً ومدبرًا.

وفهم البعض أن ﴿لامَسْتُمُ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ تعني اللمس لا تعني الجماع، مع أن ذلك يخالف ما ثبت عن رسول ﷺ من أنه كان يمس عائشة ويصلي دون وضوء، بل كان يقبل بعض نسائه ثم يصلي. وكذا في حالة من تيمم وصلى لتعذر الماء ثم وجد الماء بعد الصلاة أعليه إعادة أم لا؟

فمن الفقهاء من رأى الإعادة، ومنهم من قال: إن الصلاة الأولى تجزئه، حيث لا صلاة في اليوم مرتين، فاختلاف الأفهام سبب من أسباب الخلاف، والله يرزق الفهم من يشاء، وصدق سبحانه: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾.

٦- ضعف الدليل أو ضعف الاستدلال به:

وقد يكون من أسباب الخلاف أيضًا ضعف الدليل من حيث السند أو الشذوذ من حيث المتن.

هذه أخي بعض أسباب الاختلاف بين العلماء، ومع ذلك فإن اختلافهم كان معه الأدب في احترام المخالف لا طعنهُ وهمزه ولمزه والتعريض به، وإنما كانوا رحماء بينهم فاختلافهم في الرأي لم يفسد للود قضية وذلك فيما يجوز فيه الخلاف.

والله من وراء القصد.

من نور كتاب الله

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [محمد:٧].

من هدي رسول الله ﷺ:

«إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله، وليقل له أخوه أو صاحبه: يرحمك الله، فإذا قال: يرحمك الله، فليقل: يهديكم الله ويصلح بالكم». [أخرجه البخاري في الأدب].

من أقوال السلف

عن عمر بن الخطاب قال: «سيأتي ناس يجادلونكم بشبهات القرآن فخذوهم بالسنن فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله تعالى».

[الشريعة ص١٨١].

عن وهب بن منبه قال: الفقيه العفيف الزاهد، المتمسك بالسنة أولئك أتباع الأنبياء في كل زمان . [ص١١١ الشريعة]

عن محمد بن سيرين. قال: «كانوا يقولون: إذا كان الرجل على الأثر فهو على الطريق.

[الشريعة ص١٣٢].

من خوارم المروءة

الرقص والغناء والصفق بالأكف

قال السيوطي : «ومن ذلك ما أحدث من السماع والرقص والوجد وفاعل ذلك ساقط المروءة مردود الشهادة عاص لله ورسوله»

[المروءة وخوارمها ص١٣٢].

مراتب الجهاد

قال العلماء: مراتب الجهاد أربع مراتب: (جهاد النفس - جهاد الشيطان - جهاد الكفار - جهاد المنافقين).

أما جهاد النفس فعلى أربع مراتب:

إحداهن: الجهاد في تَعَلُّم دين الحق.

الثانية: الجهاد في العمل بذلك العلم.

الثالثة: الجهاد في الدعوة لذلك العلم وتعليم آدابه.

الرابعة: الجهاد على الصبر واحتمال مشقات الدعوة وأذى الخلق.

وأما جهاد الشيطان فعلى مرتبتين:

الأولى: الجهاد لدفع ما يلقيه من الشبهات والشكوك.

الثانية: الجهاد لدفع ما يلقيه من الإرادات والشهوات.

وسلاح الأول اليقين وسلاح الثاني نوع صبر.

وأما جهاد الكفار والمنافقين فعلى أربع مرات:

القلب واللسان والمال والنفس.

وأما جهاد أرباب الظلم والمنكر والبدع فعلى ثلاث مراتب الأول باليد، وإن عجز فباللسان وإن عجز فبالقلب.

[سفر السعادة ص١٩٥].

مصطلحات تهم طلاب العلم

إذا رأيت لفظة (ثنا) مختصرة في سند الحديث فهي بمعنى حدثنا.

وإذا رأيت لفظة (أنا) أو (نا) مختصرة في سند الحديث أيضًا فهي بمعنى أنبانا.

وإذا كان للحديث إسنادان أو أكثر كتبوأ عند الانتقال من إسناد إلى إسناد آخر حرف الحاء هكذا (ح) [النخبة النبهانية ص٣٩].

وصايا إلى طلاب العلم

«من لم يتقن الأصول حرم الوصول» «ومن رام العلم جملة ذهب عنه جملة» وقيل أيضًا «ازدحام العلم في السمع مضلة الفهم».

وعليه فلابد من التأصيل والتأسيس لكل فن تطلبه بضبط أصله ومختصره على شيخ متقن لا بالتحصيل الذاتي، آخذًا الطلب بالتدرج.

قال الله تعالى: ﴿وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا﴾

[حلية طالب العلم ص١٨].

من النوادر

دخل رجل على الشعبي وهو جالس مع امرأته فقال: أيكم الشعبي؟ فقال الشعبي: هذه - وأشار إلى امرأته - فقال الرجل: ما تقول أصلحك الله في رجل شتمني أول يوم من رمضان، هل يؤجر؟ قال: إن كان قال لك «يا أحمق» فإني أرجو له الأجر.

للأطفال فقط

قال ابن طاوس: أقبلت إلى عبد الله بن الحسن فأدخلني بيتا فبسطت نِطْعًا (فراشًا) وجلست عليه، وابناه محمد وإبراهيم صبيان يلعبان، فلما نظرا إليّ قال أحدهما لصاحبه «ميم»، فقال الآخر «جيم»، فقلت أنا: «نون، واو، نون» فاستغرقا ضحكًا وخرجا إلى أبيهما. يعني أكمل لهما هجاء كلمة «مجنون».

[العقد الفريد لابن عبد ربه ج٨ ص٣٩]

احذر هذا القول
«شكله غلط»

هذا اللفظ من أعظم الغلط الجاري على ألسنة بعض المترفين عندما يرى إنسانا لا يعجبه، لما فيه من تسخط لخلق الله، وسخرية به. قال تعالى: ﴿يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك﴾ [الانفطار:٦-٨].

وقال تعالى: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ [التين:٤].

[معجم المناهي اللفظية - بكر بن عبد الله ابو زيد ص٣١٨].

أفعال واعتقادات خاطئة

إعداد: د. طلعت زهران

مصافحة الرجال للنساء غير المحارم

وهي مصيبة عمت بها البلوى، وصارت عرفًا اجتماعيًا سائدًا بين أغلب الناس، وهو عرف فاسد يخالف شرع الله ويحاد الله ورسوله، قال ﷺ: «لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له». [صحيح الطبراني (٥٠٤٥)، صحيح الجامع (٤٩٢١)].

وقال: «لا أمس أيدي النساء». [صحيح. رواه الطبراني (٧١٧٧)].

وليس هناك من هو أطهر قلبًا من رسول الله ﷺ.

وقالت عائشة رضي الله عنها: ولا والله ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط، غير أنه يبايعهن بالكلام. [رواه مسلم].

وللعلم فإن المرأة إذا وضعت في يدها ثوبًا ونحوه، فإنه لا يغني شيئًا فالفعل حرام، واليد جزء من الجسم كأي جزء آخر، فهل يجوز لمس أي جزء، كالصدر مثلاً مع وجود حائل؟

لبس دبلة الخطوبة

هي من عادات وتقاليد غير المسلمين في طقوس زواجهم، حيث يقول القس وهو يعقد النكاح: باسم الأب والابن والروح القدس، ما يجمعه الرب، لا يفرقه إنسان مشيرًا في كل كلمة إلى إصبع ثم تستقر الدبلة في الإصبع البنصر للمرأة والرجل باليد اليمنى، ثم بعد الدخول تنتقل إلى اليد اليسرى، وقد أمرنا الرسول ﷺ بعدم اتباع اليهود والنصارى أو التشبه بهم.

هذا إذا كانت الدبلة من فضة بالنسبة للرجال، أما إن كانت من ذهب فيضاف إلى إثمها إثم آخر وهو لبس الذهب وهو محرم على الرجال.

مصافحة المصلي للجالس عن يمينه ثم عن يساره عقب الصلاة وقوله: حرمًا فيرد عليه: جمعًا

بدعة لم يفعلها النبي ﷺ ولا أحد من صحابته رضوان الله عليهم، وخير الهدي هدي محمد ﷺ القائل: «وشر الأمور

محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة». [صحيح].

الكذب في المنام والأحلام

بعض الناس قد يختلق رؤيا أو منامًا لم يره ليرضى بعض الناس، أو يحوز بعض المنافع أو يخوف بعضهم، وكثير من الناس يعتقدون في هذه المنامات، وقد يخدعون بسبب هذا الكذب، وهذا حرام؛ لقوله ﷺ: «إن من أعظم الفرى، أن يدعي الرجل إلى غير أبيه، أو يُرى عينيه ما لم تر ويقول على رسول الله ﷺ ما لم يقل». [رواه البخاري].

وقال: «من تحلم بحلم لم يره كلف أن يعقد بين شعيرتين ولن يفعل». [رواه البخاري]

عدم الاحتراز من رذاذ البول، وخاصة عند التبول واقفًا

قال ﷺ: «تنزهوا من البول، فإن عامة عذاب القبر منه». [صحيح. الإرواء (٢٨٠)].
وقال: «أكثر عذاب القبر من البول». [صحيح. رواه أحمد (٢٠٤٢)].

وقال: «إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستنزه من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة». [متفق عليه]

عدم تغطية أواني الطعام والشراب

قال ﷺ: «غطوا الإناء، وأوكئوا السقاء، فإن في السنة ليلة ينزل فيها وباء لا يمر بإناء لم يغط أو سقاء لم يوكأ إلا وقع فيه من ذلك الوباء». [صحيح مسلم (٤١٥٩)].

وقال: «اطفئوا المصابيح إذا رقدتم، وأغلقوا الأبواب، وأوكئوا الأسقية، وخمروا الطعام والشراب». [البخاري].

تناول الطعام والشراب دون ذكر الله

قال ﷺ: «إن الشيطان ليستحل الطعام الذي لم يذكر اسم الله عليه». [صحيح. مسلم (١٦٥٣)].

وقال: «إذا أكل أحدكم طعامًا فليذكر اسم الله عليه فإن نسي أن يذكر الله في أوله، فليقل: بسم الله على أوله وآخره». [صحيح. رواه أحمد (١٣٣٣)].

وقال: «إن الله تعالى ليرضى عن العبد يأكل الأكلة أو يشرب الشربة فيحمد الله عليها». [صحيح مسلم].

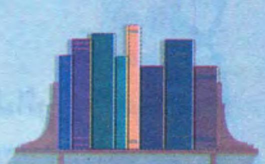

وقفات مع القصة في كتاب الله تعالى

القسم الثاني
الحلقة الثالثة

جُبْنُ بني إسرائيل وضعف إيمانهم

بقلم
عبد الرازق السيد عيد

الحمد لله الذي لم يتخذ ولدًا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذُّل وكبره تكبيرًا، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وخاتم النبيين محمد كما أمر رَبي سبحانه: «صلوا عليه وسلموا تسليمًا». أما بعد:

أخي القارئ الكريم، فها نحن نواصل معًا وقفاتنا مع قصة موسى عليه السلام مع قومه، وإن كنا قد رأينا عجبًا في مواقفنا مع الأحداث التي دارت بين موسى وقومه من جانب وفرعون وقومه من جانب آخر.

فإن عجبنا لا ينتهي ونحن نشاهد مواقف بني إسرائيل مع موسى، وقد رأينا كيف عبدوا العجل من دون الله، وكيف تنطعوا مع نبي الله، وطلبوا منه رؤية ربه جهرة كشرط لإيمانهم، واليوم نقف مع قول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ. قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىَ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ. قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُواْ عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ. قَالُواْ يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢١- ٢٤].

ولنا مع الآيات الكريمة وقفات:

الوقفة الأولى:

من النِّعم التي أنعم اللهُ بها على بني إسرائيل أن كتب لهم سُكْنى الأرض المقدسة؛ القدس وما جاورها (أرض فلسطين)، وهي الأرض التي جَعَلها الله مباركة للعالمين، والتي هاجر إليها من قبل إبراهيمُ، وسكنها يعقوبُ وإسحاقُ عليهم الصلاة والسلام، وصدر الأمر من الله عز وجل لموسى أن يدخل بقومه هذه الأرض رحمة بهم وانقاذًا من الصحراء، وقد أخبر موسى قومه بالأمر وأخبرهم أن الله كتبها لهم يعيشون فيها ما داموا صالحين.

الوقفة الثانية:

أرسل موسى رَوَّادًا- فرق استطلاع بلغة العصر- إلى بيت المقدس وأريحا لاستجلاء الأخبار، وكان سكانها من العمالقة (الحيثيين واليوبوسيين والكنعانيين)، وكانوا ضخام الأجسام أشدّاء البنية، عاد الرّواد وقصُّوا على القوم حقيقة ما رأوا.

الوقفة الثالثة:

لما عَلِمَ بنو إسرائيل بضخامة أجسام السكان، قالوا لموسى: إنّ فيها قومًا جبارين، وإنا لن ندخلها أبدًا ما داموا فيها، ولن نفكِّر في الدخول حتى يخرجوا منها، هذا أمر يدل على الجبن والسلبية وضعف الإيمان، لأن موسى عليه السلام أخبرهم أن هذا أمر الله، وحذرهم من النكوص والردة، وما دام أن الله هو الذي أمر سبحانه فعليهم أن يقصدوا ويتوكلوا على الله فيما لا يستطيعونه، والله سبحانه لن يضيعهم وسيتولى أمرهم، لكن أين هم من ذلك؟

الوقفة الرابعة:

كان موقف بني إسرائيل من دخول الأرض المقدسة موقفًا يدل على نقص في الإيمان ونقص في التوكل واليقين، لذا ظهر منطق الإيمان من قلَّة منهم كما ذكر ربنا عز وجل: ﴿قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُواْ عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

هذا منطق الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب فتؤتى ثمارها صدقًا ويقينًا وتوكلاً.

ولذلك وصف الله الرجلين بأنهما: ﴿مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾، وقد أنعم الله عليهما بنعمة الإيمان الصادق واليقين الذي لا يعرف الشك، فكان ممن شملتهم: ﴿فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

هذان الرجلان تحدثا مع قومهما من منطلق الإيمان الصادق، فقالا لهم: لا تتخاذلوا ولا ترتدوا ولا تخافوا من ضخامة أجسامهم، ولكن نفذوا أمر الله وادخلوا الأرض كما أمركم وسينصركم الله؛ لأن النصر من عنده هو سبحانه قبل أن يكون بالقوة المادية، ثم ذكروهم بأهم أسباب النصر، وهو التوكل على الله إن كانوا صادقين في إيمانهم بالله عز وجل.

الوقفة الخامسة:

كان مقتضى الاستجابة لنصيحة العبدين الصالحين الصادقة أن يفئ بنو إسرائيل إلى رشدهم، وأن يتوبوا إلى ربِّهم، وأن ينفذوا أمره سبحانه وتعالى بدخول الأرض المقدسة التي كتب لهم، وأن يتوكلوا على ربِّهم ويثقوا في وعده ونصره كما نصرهم وأنقذهم من فرعون وقومه وعبر بهم البحر على مرأى ومسمع من عدوهم وأهلك عدوَّهم أمام أعينهم وهم ينظرون، كان المفروض أن يتذكروا تلك النعمة العظيمة، والعهد ليس ببعيد، وأن النصر بيد الله وليس بأيديهم، وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله.

لكن أنَّى لقلوب قست فهي كالحجارة أو أشد قسوة أن تذوق حلاوة الإيمان وتدرك حقائقه؟ وأنى لعقول لا تدرك إلا ما يقع تحت الحواس أن تستشعر الإيمان بالغيب؟ وأنى لقلوب غلَّفَها حب الدنيا أن تعرف التوكل على الله؟!!

صمٌ بنو إسرائيل آذانهم عن كل حق، ولم تلتفت قلوب كثير منهم إلى الخير، فقالوا لموسى عليه السلام كما حكى عنهم القرآن الكريم: ﴿اذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ بئس ما قال القوم، إنه يدل على حقيقة قائليه الذين لم يقدروا الله حق قدره، إن هؤلاء القوم لا يجدي فيهم نصح، ولا يرجى منهم نفع، ولا يصلحون لتنفيذ أوامر الله على الوجه الصحيح؛ لذا توجَّه موسى إلى ربه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٥]، تبرأ موسى عليه السلأم لنفسه ولأخيه من فعل القوم ومن حالهم ومن أقوالهم، فجاءته الإجابة من الله: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٦].

يواسي ربنا عز وجل موسى عليه السلام في مصيبته في قومه، ويحكم عليهم بالتيه في صحراء سيناء أربعين سنة جزاء خورهم وتخاذلهم، وهكذا ضيع الجيل من بني إسرائيل فرصة سنحت لهم، وكفروا بنعمة أهداها الله لهم، إن جيلاً مثل هذا الجيل من بني إسرائيل قد عاش حياة الذلة والمهانة تحت وطأة حكم الفراعنة في مصر، لا يصلح لمعالي الأمور، إن شعبًا عاش معظمه يخدم في قصور ملوك مصر وأثريائها لا يتقن غير القيل والقال، والحياة في الظل وشرب الماء البارد، إن هذا الجيل من بني إسرائيل الذي يخشى البشر أكثر من خشيته الله، لا يصلح للاستخلاف في الأرض ولا لتنفيذ أوامر الله فيها؛ فلا بد أن يذهب إلا قليلاً من الصالحين الذين خالطت بشاشة الإيمان قلوبهم، ويأتي جيلٌ آخر تربى على أيدي هؤلاء الصالحين، فيمكن الله به لبني إسرائيل، ولذا عاقبهم الله بالتيه أربعين

سنة، وهي مدة تكفي لذهاب أكثر الجيل الفاسق، ويأتي من بعدهم قوم صالحون- إن شاء الله- وهذا ما سيأتي بيانه في أعداد قادمة بفضل الله، لكن قبل خِتام هذا اللقاء لا بدَّ من وقفة أخيرة للمقارنة.

الوقفة السادسة (للمقارنة):

نقارن لبيان الحق والحقيقة بين أصحاب موسى عليه السلام كما رأيناهم في هذا الموقف، وأصحاب محمد ﷺ في غزوة بدر، حتى نعرف الفرق بين قوم هم خير أمة أُخرجت للناس، وقوم يسعون في الأرض فسادًا، بين أصحاب رسول الله ﷺ الذين نذروا أنفسهم وأموالهم لله، وصدقوا الله ورسوله، وبين قوم موسى الذين حاربوا الله ورسله.

خرج أصحاب رسول الله ﷺ معه يوم بدر ولم يكونوا قد خرجوا لقتال، بل خرجوا لاستلاب غنائم، ثم وجدوا أنفسهم في مواجهة جيش من المشركين جاء من مكة مستعدًا للقتال، وقوته تزيد على ثلاثة أضعاف قوة المسلمين، وتحتمت المواجهة بين الجيشين، فاستشار النبي ﷺ أصحابه ماذا يفعلون؟ لاحظ هنا استشارة فقط، وهناك كان أمر صريح مباشر بدخول المدينة بإذن الله، ومع ذلك رأينا ما رأينا، ولا حول ولا قوة إلا بالله، لكن كيف كان موقف أصحاب رسول الله ﷺ؟ من المهاجرين، تكلَّم أبو بكر رضي اللَّه عنه فأحسن، وتكلم عمر رضي اللَّه عنه فأحسن، وتكلم المقداد بن عمرو رضي اللَّه عنه فقال: يا رسول الله، امض لما أراك الله، فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إن معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد(١) لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه. وقال سعد بن معاذ رضي اللَّه عنه يمثل الأنصار: يا رسول الله، قد آمنا بك، وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر (البحر الأحمر) فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدًا، إنا لصبر في الحرب صدق في اللقاء، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله.

هذا موقف الأمة المرحومة التي آمنت فصدقت في إيمانها فقالت: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، فرحمها الله ببعثة خاتم النبيين محمد ﷺ، فوضع الله به عنها الإصْر والأغلال التي كانت على الأمم السابقة ومنها بنو إسرائيل، فكانت توبتهم بقتل أنفسهم، أما في أمة محمد ﷺ فالتوبة بين العبد وربه(٢) في أي ساعة من ليل أو نهار حتى تطلع الشمس من مغربها أو تبلغ الروح الحلقوم، وهذا فضل الله آتاه الله هذه الأمة التي آمنت بنبي الرحمة، بينما كفرت به الأمة الشقية أمة بني إسرائيل الذين قالوا: سمعنا وعصينا وأُشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم، فكانت أمة ملعونة على لسان أنبيائها، وكتب الله عليها الشقاء في الدنيا والآخرة بكفرهم وقولهم على الله بغير علم وقولهم على مريم وعيسى عليه السلام بهتانًا عظيمًا، وكفرهم بمحمد ﷺ وهو مكتوب عندهم في التوراة، فهما أمتان؛ أمة هي لعنة الله في الأرض وهم بنو إسرائيل، وأمة هي خير أمة أُخرجت للناس في الأرض، وهم أمة محمد ﷺ، والفرق واضح وظاهر: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ. إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦، ٧].

وتأمَّل أخي رحمك الله واربط ذلك بالواقع الذي نعيشه ترى عجبًا تتفطر منه القلوب، ويعجز القلم عن تصويره!! ترى حفدة عُبَّاد العجل الذين ورثوا الجبن والنذالة يستأسدون، بينما أهل الحق الذين حملوا ميراث خير أمة يتخاذلون، ذلك لأن كثيرًا منهم ورثوا الاسم ولم يرثوا المضمون، وشغلتهم دنياهم فضاع منهم الكثير، وغيروا فغير الله عليهم، وسنن الله الشرعية والكونية ثابتة، وقضى الله قضاء لا يرد، وبينه في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾ [الرعد: ١١].

اللهم اكتب لنا الخير، ووفقنا إليه، ورد أمتنا إلى دينك ردًا جميلاً.

الهوامش

(١) برك الغماد: مكان باليمن، وقيل: آخر الأرض.

(٢) بالقلب واللسان والعمل.

بين السنن والمبتدعات

في الأذان وسننه وما ابتدع فيه

كتبه: محمد بن عبد السلام الشقيري

روى مسلم وأحمد وأبو داود عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليَّ فإنه من صلى عليَّ صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون هو، فمن سأل الله لي الوسيلة حلت له الشفاعة». وفي لفظ: «حلت له شفاعتي يوم القيامة».

ثم اعلم أن من البدع والجهالة زيادة لفظة: «سيدنا وحبيبنا» في تشهدي الأذان والإقامة؛ لأن الزيادة في الدين كالنقص منه.

وترك إجابة السامعين للأذان بمثل ما يقول المؤذن، ثم تركهم للصلاة على النبي ﷺ، وسؤالهم له الوسيلة جهل عظيم وحرمان، وزيادة: «والدرجة الرفيعة» في أثنائه بدعة، والصلاة والتسليم بعد الأذان بهذه الكيفية المعروفة بدعة ضلالة، وقول: رضي الله عنك يا شيخ العرب، أو: يا حسين، أو: ياشافعي: بدعة ضلالة وفي النار، وقولهم عند سماع تكبير الأذان: الله أعظم والعزة لله، أو: الله أكبر على كل من ظلمنا، أو: الله أكبر على أولاد الحرام؛ بدعة وجهل.

والسنة أن نقول كما يقول المؤذن، ثم نصلي على النبي ﷺ بالوارد، ثم ندعو له، كما في الحديث، وبذلك ندرك شفاعته ﷺ، إن شاء الله.

والسنة أيضًا الدعاء بين الأذان والإقامة: قالوا: فماذا نقول يا رسول الله؟ قال: «سلوا الله العافية في الدنيا والآخرة». قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

هذه هي السنة والبدعة، فاتبعوا السنة واجتنبوا البدعة: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

وتقبيل ظفري الإبهامين ومسح العينين بهما، اعتقادًا بأن فاعله لن يرمد، جهل وبدعة، وكلام باطل، وكذا اللهم صلِّ أفضل صلاة على أسعد مخلوقاتك... إلخ. بدعة وتشويش. وكذا قراءة العشر بعد الأذان: بدعة وتشويش.

ويسن أيضًا: بين الأذان والإقامة صلاة النفل؛ لحديث الصحيحين: «بين كل أذانين صلاة لمن شاء».

والأذان جماعة على وتيرة واحدة بدعة، وقولهم قبل الفجر على المنائر: يا رب عفوًا بجاه المصطفى كرمًا: بدعة وتوسل جاهلي، وكذا التواشيح، أو القراءة أو الأشعار بدع في الدين، مخالفة لسنة الأمين ﷺ، وهي الأذان المعلوم في حديث البخاري: «إن بلالاً ينادي بليل فكلوا واشربوا حتى ينادي ابن أم مكتوم». إلا أن الأذان الأول يجرد من «الصلاة خير من النوم»، ويؤتى بها في أذان الصبح. (والأذان) داخل المسجد بين يدي الخطيب يوم الجمعة بدعة، وقراءة حديث: «إذا قلت لصاحبك قبل الخطبة...» بدعة، وعلى الخطيب أن ينبه اللاغطين به أثناء

الخطبة، أما المؤذن فلا. والجهر بقراءة سورة الكهف يوم الجمعة بهذه الكيفية المعلومة بدعة. والسنة أن يقرأها كل مسلم في أي مكان، وليس لها وقت معين، وحديثها ضعيف أو منكر، وقد وردت أحاديث أقوى من هذا في قراءة آل عمران وهود في يوم الجمعة، فلماذا لا يعمل بها المواظبون على قراءة الكهف على (الدكة) إن كان غرضهم العمل بالسنة لا اتباع العادة؟ وما لهم لا يعملون بحديث المسند ومسلم والترمذي والنسائي عنه ﷺ قال: «لا تجعلوا بيوتكم قبورًا، فإن البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان». وورد: «اقرءوا سورة هود يوم الجمعة» حديث صحيح مرسل. وورد: «من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تجب- أي تغرب- الشمس». ورواه الطبراني بسند ضعيف مقبول. والدعاء الجماعي للسلطان أو غيره في أثناء الخطبة الثانية بدعة وتشويش، وقد نهى النبي ﷺ عما هو دون ذلك بقوله: «إذا قلت لصاحبك والإمام يخطب أنصت فقد لغوت». متفق عليه، وقد قال ﷺ : «مثل الذي يتكلم يوم الجمعة والإمام يخطب، مثل الحمار يحمل أسفارًا، والذي يقول له: أنصت لا جمعة له». رواه أحمد في مسنده.

رفع صوت المؤذن بالتبليغ!!

ورفع صوت المؤذن بالتبليغ لغير حاجة بدعة، وكونه جماعة يديرونه ويتواكلونه بينهم بدعة منكرة، ولا باس به عند الحاجة.

وتوحيشهم على المآذن وفي المساجد في أواخر رمضان بدعة منكرة ذميمة، فاتقوا الله وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون.

وحديث: «كان ﷺ إذا سمع المؤذن قال: حي على الفلاح، قال: اللهم اجعلنا مفلحين». رواه ابن السني عن معاوية بإسناد ضعيف كما في الجامع وشرحه، والأحاديث الواردة في فضائل الأعمال يجوز العمل بها عند بعض أهل العلم.

بدع الإقامة

وترك كثير من الناس إجابة المؤذن بمثل ما يقول، وتركهم الصلاة على النبي ﷺ بعد الأذان، وطلب الوسيلة والفضيلة له مع إتيانهم بهذا في الإقامة جهل منهم، وترك للصحيح، ورغبة عنه إلى الضعيف، ورواية ابن السني عن أبي هريرة أنه كان إذا سمع المؤذن يقيم يقول: «اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صلّ على محمد وآته سؤله يوم القيامة» موقوفة على أبي هريرة أيضًا، فيها غسان بن الربيع، قال في الميزان: ليس حجة في الحديث، وقال الدارقطني: ضعيف. اهـ.

أما الصلاة على النبي ﷺ وطلب الوسيلة له بعد الأذان فثابتة في البخاري، وبها تنال شفاعته ﷺ، وكذا قولهم عند إجابة الإقامة: نعم لا إله إلا الله بدعة.

الفصل بين الإقامة والإحرام مبطل لها!!

وحديث: «إن بلالاً قال: قد قامت الصلاة، فقال رسول الله ﷺ: وأقامها الله وأدامها- وفي رواية: وجعلني من صالحي أعمالها- أو أهلها»، فقد رواه أبو داود في سننه وابن السني عن شهر بن حوشب وهو ضعيف عند جماعة ومتروك عند آخرين، قال في الميزان: شهر بن حوشب ممن لا يحتج به ولا يتدين بحديثه. ووثقه بعضهم. اهـ.

وقولهم: الكلام أو الفصل بين الإقامة والإحرام مبطل لها، أو موجب لإعادتها، أو إذا قال المؤذن: قد قامت الصلاة وجب على الإمام التكبير، إنما هو قول بغير دليل، والسنة تنقضه نقضًا. قال البخاري: (باب الإمام تعرض له الحاجة بعد الإقامة)، ثم ساق عن أنس قال: «أقيمت الصلاة والنبي ﷺ يناجي رجلاً في جانب المسجد، فما قام إلى الصلاة حتى نام القوم».

وقال البخاري أيضًا (باب الكلام إذا أقيمت الصلاة)، وساق عن حميد قال: سألت ثابتًا البناني عن الرجل يتكلم بعدما تقام الصلاة، فحدثني أنس بن مالك قال: أقيمت الصلاة فعرض للنبي ﷺ رجل فحبسه بعد ما أقيمت الصلاة.

والله أعلم.

اتقوا فتنة هذا العصر!!

بقلم: أشرف شعبان

قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥].

تشير الآية الكريمة إلى أن هناك فتنة أي ابتلاء سيصيب الظالم وغير الظالم أي الصالح والطالح ولشدة هذا الابتلاء فهي تحذرنا بلغة الأمر وأنه عقاب إلهي في الدنيا نتيجة لظلم الظلمة وتهاون غير الظلمة في منع الظلم والفسق.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: أمر الله المؤمنين ألا يقروا المنكر فيما بينهم فيعمهم الله بالعذاب. وفي صحيح مسلم عن زينب بنت جحش أنها سألت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم، إذا كثر الخبث». وفي صحيح الترمذي: «إن الناس إذا رأوا الظالم ولم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده». وقال عمر: إن الله لا يعذب العامة بذنب الخاصة، ولكن إذا عمل المنكر جهارًا استحلوا عقوبة الله كلهم. وفي صحيح البخاري والترمذي عن النعمان بن بشير عن النبي ﷺ قال: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذ من فوقنا فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا».

ففي هذا الحديث تعذيب العامة بذنوب الخاصة وفيه استحقاق العقوبة بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وستظل هذه الآية تنذر وتحذر وقد قال فيها الزبير بن العوام يوم الجمل وكان سنة ست وثلاثين ما علمت أنا أردنا بهذه الآية إلا اليوم وما كنت أظنها إلا فيمن خوطب ذلك الوقت(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما ظهر الغلول في قوم إلا ألقى الله في قلوبهم الرعب ولا فشا الزنى في قوم إلا كثر فيهم الموت، ولا نقص قوم المكيال والميزان إلا قطع الله عنهم الرزق، ولا حكم قوم بغير حق إلا فشا فيهم الدم، ولا ختر- أي غدر- قوم بالعهد إلا سلط الله عليهم العدو(٢).

وسنة الله في خلقه لا تتوقف وستظل قائمة إلى يوم الدين والعقاب الإلهي للبشر أفرادًا وجماعات في الدنيا لم ينقض ولن ينتهي بل يتم في أي لحظة وفق مشيئته سبحانه وتعالى ولكن تتغير صوره بما يلائم واقع كل فترة ومقتضياتها، فقد يكون بالخسف والزلازل والبراكين وانهيار العمارات السكنية أو الفيضانات والغرق أو الجفاف ونقص المياه والتصحر أو الريح والحرائق التي تقضي على اليابس والأخضر أو الصيحة أو بإمطار حجارة من سجيل منضود أو بالرجفة أو بالسنين ونقص الثمرات أو المرض وانتشار الأوبئة وإرسال الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم أو

ببعث عباد أولي بأس شديد أو بالتيه في الأرض.

والابتلاء إن لم يكن عقوبة فهو تربية أو امتحان أو ترقية لمقام، قال تعلى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥].

وقد اختلفت العقوبات الإلهية في الدنيا لمرتكبي الممارسات الجنسية المحرمة- موضوع مقالتنا- فعاقب الله عز وجل قوم لوط جزاء فعلهم اللواط، حيث خسف بهم الأرض، أمطر عليهم حجارة من سجيل، وجعل ذلك قرآنًا يتلى ليكون درسًا وعبرة لنا ولغيرنا، قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّن الْعَالَمِينَ. إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ. وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُواْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ. فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ. وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [هود: ٧٧- ٨٣]، ﴿وَلَمَّا جَاءتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ٧٧ وَجَاءهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْم هَـؤُلاء بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَلاَ تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ٧٨ قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ٧٩ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ٨٠ قَالُواْ يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُواْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ٨١ فَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَاحِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ٨٢ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٧٧- ٨٢](٣).

وفي صور العقاب الإلهي أيضًا لتلك الفوضى الجنسية بالإضافة إلى ما سبق ذكره انتشار الأمراض التناسلية الفتاكة، وكان أسبقها انتشارًا مرض الزهري في القرنين الخامس عشر والسادس عشر واستمراره إلى منتصف القرن العشرين مع ظهور آثاره في جميع أجهزة الجسم وانتقاله إلى الأطفال الأبرياء من ذويهم واستمراره في المريض لسنوات عشر أو عشرين أو ثلاثين وموت المريض المؤكد بعد عذاب وجنون، ثم كان انتشار مرض السيلان خلال القرنين أو القرون الثلاثة الأخيرة الذي يعذب مرضاه أقسى العذاب بإصابات المسالك البولية ويقتلهم في النهاية شر قتلة بالفشل الكلوي وينتقل من الأم المريضة إلى أطفالها الأبرياء فيصابون بالعمى من أول يوم في حياتهم، ثم ظهرت في القرن الحالي أمراض تناسلية عجيبة، مثل حمة فيروس الحلاء «هر بس»، وهي البثرات التي تظهر على الشفاه تصبح حمات تناسلية، والمتدثرات (كلاميديا) التي كانت فقط تسبب الحثر (تراكوما) أي الرمد الحبيبي أصبحت هي أيضًا تسبب الأمراض التناسلية(٤).

وأخيرًا كانت الطامة الكبرى- نتيجة الإباحية الجنسية المطلقة والممارسات الشاذة التي تعيشها دول أوربا الغربية وأمريكا ومن يسير على دربهم- فيروسا يصيب جهاز الدفاع الطبيعي في جسم الإنسان ويضعف مقاومته للأمراض والجراثيم مسببًا لمرض الإيدز أو فقدان المناعة، وبالرجوع إلى السجلات الطبية القديمة، وكذلك إلى عينات الدم المخزونة في أمريكا وأوربا الغربية اتضح أن مرض الإيدز جديد ولم يكن موجودًا من قبل(٥). أي أنه صورة حديثة للعقاب الإلهي تلائم العصر الحالي، كما أنه مرض بشري فقط؛ إذ لم يظهر عند أي من الحيوانات. أما الفيروسات التي وجدت عند بعض القرود الأفريقية فقد كانت قريبة من فيروس (HIV) ولم تؤد إلى ظهور الإيدز(٦).

وهذا المرض الملقب بطاعون العصر هو أخطر مرض في القرن العشرين، وقد هلك

بسببه الآلاف، بالإضافة إلى الملايين الحاملة للفيروس، وللوقوف على شدة هذا البلاء وبيان مدى خطورته، فلنعلم أن هذا الفيروس ـ الذي لا يستطيع العيش إلا لمدة قصيرة خارج خلايا جسم الإنسان ـ في حالة الإصابة به مميت في جميع الحالات، وليس هناك في الوقت الحاضر أو المستقبل القريب أي بوادر لشفاء المريض منه، وقد يكون الشخص حاملاً للفيروس وينقل العدوى للآخرين دون أن يدري هو ولا من حوله نتيجة لطول الفترة بين الإصابة وظهور الأعراض ثم الوفاة.

وإذا كان هذا المرض تنتشر العدوى به مباشرة عند كل إيلاج مهبلي أو شرجي، والمرة الواحدة تكفي لالتقاط العدوى، وكثرة الجماع وتبديل الأشخاص من غير وقاية تزيد من نسبة الخطر، وكذلك يصيب فئة أخرى من المنحرفين هم مدمنو المخدرات عند استعمالهم للحقن والإبر الملوثة عند حقنها في الوريد، فالمشاركة في استعمال الحقن يؤدي حتمًا إلى التقاط الفيروس، إلا أنه ولبيان صدق آيات الله في امتداد البلاء ليشمل العامة مع الخاصة نلمس ذلك في ارتفاع نسبة المصابين من غير الممارسين لهذه الفواحش والموبقات، فالجنين في بطن أمه لم يرتكب أي إثم يستحق عليه العقاب إلا أن والده أو أمه أو كليهما مصاب بالإيدز فينتقل الفيروس إليه عن طريق المشيمة (أنسجة الرحم) أيام الحمل، وأحيانًا عند الولادة والرضاعة، ومع قدوم عام ١٩٩٠م ولد حوالي ٢٠٠ ألف طفل إفريقي مصاب بالفيروس في منطقة وسط إفريقيا، ومن المتوقع أنه في خلال التسعينات يولد حوالي مليون طفل آخر مصاب(٧).

أما إذا ولد طفل غير مصاب فإن إصابة الأم أو انتقال العدوى إليها عن طريق الأب المصاب يعرض الطفل إلى التيتم (فقد أمه)، ويصيب هذا الفيروس أيضًا إنسانًا لم يرتكب أي علاقة جنسية غير مشروعة، ولكنها سنة الله في أن يعم عقابه العامة مع الخاصة الظلمة وغيرهم، حيث تنتقل العدوى من أقصى بلاد الغرب إلى أقصى بلاد الشرق من خلال دم ملوث أو عضو مصاب ينقل إليه عبر هذه المسافة الطويلة ليكمل له شفاء من مرض ويقضي عليه بهذا المرض الجديد.

تقول مصادر منظمة الصحة العالمية إنه في بعض بلدان الشرق الأوسط تم فحص ٣ ملايين و٢٢٦٤٨ شخصًا للكشف عن المصابين بهذا المرض خلال الفترة ما بين ٨٧- ١٩٨٩م فعثر على ١٠٦٨ شخصًا تأكد أنهم مصابون بالعدوى، وذلك بمعدل ٣٣ في الألف، مع العلم أن نسبة الإصابة في الولايات المتحدة تقدر بمعدل ٢ إلى ٦ في الألف، ويرى مدير المكتب الإقليمي للمنظمة في شرق البحر المتوسط أن السبب الرئيسي لانتشار العدوى في المنطقة يرجع إلى استيراد كميات من الدماء الملوثة في أوائل ومنتصف الثمانينات قبل تطور الوسائل الفعالة في فحص بنوك الدم والمتبرعين لها(٨).

وهكذا تمضي سنة الله وتصدق آياته، فعقابه يعم العامة والخاصة كلما شاعت الفاحشة وظهر المنكر، وكما قال رسول الله ﷺ: «إذا ظهر الزنا والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله عز وجل».

والله المستعان.

الهوامش

(١) الجامع لأحكام القرآن (٣/٣٩٢، ٣٩٢).

(٢) مختصر الترغيب والترهيب (ص١٥٤).

(٣) فقه السنة (٢/٤٢٧، ٤٢٨).

(٥) جريدة الأهرام الصادرة بتاريخ ١٩٩٠/٦/١٠، مقال للدكتور علي محمود حب الله بعنوان: «الإيدز، مرض جديد».

(٦) جريدة الحياة اللندنية العدد ٩٩٩٠ الصادرة بتاريخ ١٩٩٠/٥/١٧.

(٧) جريدة الأهرام الصادرة بتاريخ ١٩٩٠/٧/٣.

(٨) مجلة المجلة العدد ٥٤١، الصادرة بتاريخ ١٩٩٠/٦/٢٦م، الموافق ١٤١٠/١٢/٤هـ، ص١١ .

أطفال المسلمين، كيف

الحلقة السابعة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد :

نواصل في هذه الحلقة بيان اهتمام النبي ﷺ بأطفال المسلمين، فنقول بتوفيق الله وعونه :

(٢٣) ويبشرهم ﷺ بالجنة إذا ماتوا صغارًا:

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: دُعي رسول ﷺ إلى جنازة غلام من الأنصار، فقلت: يا رسول الله، طوبى لهذا، عصفور من عصافير الجنة، لم يعمل السوء ولم يدركه. قال: «أوَ غير ذلك يا عائشة؟ إن اللّه خلق للجنة أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم»(١).

فانظر يا أخي عَلاَم يربي كثير من الناس الآن صغِارهم؟ إنهم يعطونهم الفرصة بقصد أو بغير قصد ليدركوا قول السوء وفعله؛ وهم لا يزالون صغارًا، فترى الطفل وهو صغير مشبعًا بالرذائل ولا يعرف شيئًا عن الفضائل، وتراه يتكلم بأفحش الكلام، ويسب ويلعن ويشتم بألفاظ العورات، ولا يوقر الصالحين ولا الصالحات، فإذا مات الواحد من أمثال هؤلاء، فهل أمثالهم عصافير الجنة؟!! وإذا عاشوا فماذا يُنتظر أن يصنع هؤلاء؟! اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون.

وقال ﷺ: «رأيت الليلة رجلين أتياني فأخذا بيدي فأخرجاني إلى الأرض المقدسة ...» إلى أن قال: «قالا: انطلق، فانطلقتُ، فإذا روضة خضراء، وإذا فيها شجرة عظيمة، وإذا شيخ في أصلها حوله صبيان» إلى أن قال: «إنكما طوفتماني منذ الليلة، فأخبِراني عما رأيت. قالا: نعم ... قال: وأما الشيخ الذي رأيت في أصل الشجرة فذاك إبراهيم عليه السلام، وأما الصبيان الذين رأيتَ فأولاد الناس»(٢).

إذَن فأولاد المسلمين الذين ماتوا ولم يبلغوا الحلم؛ يكفلهم الخليل إبراهيم ﷺ وزوجته سارة رضي اللّه عنها، ويقومان على مصالحهم حتى يردوهم إلى آبائهم يوم القيامة.

عن أبي هريرة قال: قال رسول ﷺ: «أطفال المؤمنين في جبل في الجنة يكفلهم إبراهيم وسارة حتى يردوهم إلى آبائهم يوم القيامة»(٣).

لذلك كان من الدعاء في صلاة الجنازة على الطفل أن يقال: «... وألحقه بصالح المؤمنين، واجعله في كفالة إبراهيم، وقِهِ برحمتك عذاب الجحيم ...»(٤).

بل أخبر النبي ﷺ أن اللّه سبحانه جعل مرضعًا لابنه إبراهيم تقوم عليه وتكمل رضاعه.

فعن البراء رضي الله عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «إن له مرضعًا في الجنة» - يعني ولده إبراهيم(٥).

أما أطفال المشركين: فقد أخبر نبينا ﷺ بأنهم في الجنة يكونون فيها خدمًا لأهلها.

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «أطفال المشركين خدم أهل الجنة»(٦).

قال النووي في شرح صحيح مسلم: وأما أطفال المشركين ففيهم ثلاثة مذاهب؛ الأكثرون قالوا: هم في النار تبعًا لآبائهم، وتوقفت طائفة فيهم، والثالث وهو الصحيح الذي ذهب إليه المحققون؛ أنهم من أهل الجنة، ويستدل له بأشياء منها حديث إبراهيم الخليل ﷺ حين رآه النبي ﷺ في الجنة وحوله أولاد الناس، قالوا: يا رسول الله، وأولاد المشركين؟ قال: «وأولاد المشركين». رواه البخاري في صحيحه.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ [الإسراء: ١٥] ولا يتوجه على المولود التكليف حتى يبلغ، وهذا متفق عليه والله أعلم(٧). اهـ.

هذا، وقد نهى النبي ﷺ عن قتل صبيان الأعداء في الحروب، فعن عبد الله رضي الله عنه أن امرأة وُجدت في بعض مغازي رسول ﷺ مقتولة، فأنكر ﷺ قتل

رباهم النبي الأمين صلى الله عليه وسلم

إعداد
جمال عبد الرحمن

النساء والصبيان(٨).

(٢٤) ويبشّر ﷺ بشفاعتهم لأبويهم إذا صبروا على فقْدِهِم:

عن أبي حسان قال: قلت لأبي هريرة: إنه قد مات لي ابنان، فما أنت محدِّثي عن رسول الله ﷺ بحديث تُطيِّب به أنفسنا عن موتانا؟ قال: «نعم: صغارهم دعاميص الجنة (صغار أهل الجنة) يتلقَّى أحدهم أباه، أو قال: أبويه، فيأخذ بثوبه، أو قال: بيده، كما آخذ أنا بِصَنِفَةِ (طرف) ثوبك هذا، فلا يتناهى، أو قال: فلا ينتهي (فلا يتركه) حتى يُدخِله اللَّه وإيَّاه الجنة»(٩).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما من مسلمَيْن يموت لهما ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنْث(١٠)، إلا أدخلهما اللَّه وإياهم بفضل رحمته الجنة، وقال: يقال لهم: ادخلوا الجنة، قال فيقولون: حتى يجيئ أبوانا، قال: ثلاث مرات فيقولون مثل ذلك، فيقال لهم: ادخلوا الجنة أنتم وأبواكم»(١١).

بل يخبر ﷺ يتلقيهم لأهلهم على أبواب الجنة يوم القيامة، قال رسول اللَّه ﷺ: «ما من مسلم يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية من أيها شاء دخل»(١٢).

قال المناوي: الإخبار بمن بلغ الحنث؛ أي سن التكليف الذي يُكتب فيه الإثم؛ لأن حب الصغير أشد والشفقة عليه أعظم، وهو يلائمه بلا شك قوله ﷺ في رواية: «بفضل رحمته إياهم»، إذ الرحمة للصغير أكثر. قاله المناوي في «فيض القدير». وقال: ولموت الأولاد فوائد:

١- كونهم حجابًا عن النار كما في عدة أخبار.
٢- يثقلون الميزان.
٣- يشفعون في دخول الجنة.
٤- يسقون أصولهم (آباءهم وأمهاتهم) يوم العطش الأكبر من شراب الجنة.
٥- يخففون الموت عن الوالدين لتذكر أفراطهم الماضين الذين كانوا لهم قرة أعين ... وغير ذلك. اهـ.

وقال ﷺ: «من دفن ثلاثة من الولد، حرم الله عليه النار»(١٣).

وهذا بلا شك مع الصبر واحتساب الأجر عند الله عز وجل والرضا بقضائه.

(٢٥) ويبشر ﷺ من حُرِم الأولاد في الدنيا بهم في الآخرة:

عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ: «المؤمن إذا اشتهى الولد في الجنة كان حمله ووضعه وسِنُّه في ساعة واحدة كما يشتهي»(١٤).

قال المناوي في «فيض القدير»: ولا تعارض بينه وبين خبر العقيلي بسند صحيح: «إن الجنة لا يكون فيها ولد»؛ لأن ذلك لمن لم يشته، فلا يولد له، أما إذا اشتهى فكما بين الحديث.

قُلْتُ: وهذا مصداق قول الله سبحانه: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الزخرف: ٧١].

(٢٦) وكان ﷺ يرحم بكاء الطفل في الصلاة فيخففها

ويحث أئمة المساجد على تخفيف الصلاة لأجلهم:

عن أنس رضي الله عنه قال: ما صليت وراء إمام قط أخف صلاة ولا أتم من النبي ﷺ، وإن كان ليسمع بكاء الصبي فيخفف عنه مخافة أن تُفتَن أمه(١٥).

ويؤكد ﷺ ذلك بنفسه فيقول: «إني لأدخل الصلاة وأنا أريد أن أطيلها فأسمع بكاء الصبي فأتجاوز في صلاتي مما أعلم من شدة وَجْد أمه من بكائه»(١٦).

الوَجْد: الشوق.

عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إذا أمَّ أحدكم الناس فليخفف فإن منهم الصغير والكبير والضعيف والمريض، فإذا صلى وحده فليصل كيف يشاء»(١٧).

(٢٧) ويناديهم ﷺ بكنيتهم تكريمًا لهم:

وهذا الصنيع من كريم أخلاقه ﷺ يقول أنس

رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقًا وكان لي أخ يقال له أبو عمير، قال: أحسبه فطيمًا، وكان إذا جاء (أي النبي) قال: يا أبا عمير...(١٨).

إن النداء للطفل بكنيته يرفع معنوياته، ويجعله أشد حبًا لمعلمه ومربيه، وكلما كانت العلاقة بين الطفل ومؤدبه حسنة كانت النتائج إيجابية وسريعة وعظيمة، فلنقتد بخير الخلق محمد ﷺ.

(٢٨) ويُحسن النداء ﷺ للصغار حتى من الخدم:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يقولن أحدكم: عبدي، وأَمَتي كلكم عبيد الله، وكل نسائكم إماء الله، وليقل: غلامي، وجاريتي، وفتاي، وفتاتي»(١٩). لو يعمل الناس بهذا الأدب لارتاحت البشرية، فكلنا عبيد الله، وكل نسائنا إماء الله.

(٢٩) ويَحْمِلُهم ﷺ في صلاته:

عن عبد الله بن شداد رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ في إحدى صلاتي العشاء وهو حامل حسنًا أو حسينًا، فتقدم رسول الله ﷺ فوضعه ثم كبَّر للصلاة فصلى فسجد بين ظهراني صلاته سجدة أطالها، قال أبي: فرفعت رأسي وإذا الصبي على ظهر رسول الله ﷺ وهو ساجد، فرجعتُ إلى سجودي، فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال الناس: يا رسول الله، إنك سجدت بين ظهراني صلاتك سجدة أطلتها حتى ظننا أنه قد حدث أمر وأنه يوحَى إليك، قال: «كل ذلك لم يكن، ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته»(٢٠).

وعن أبي قتادة الأنصاري أن رسول الله ﷺ كان يصلي وهو حامل لأمامة بنت زينب بنت رسول الله ﷺ، فإذا سجد وضعها وإذا قام حملها(٢١). ولمسلم والنسائي(٢٢): كان رسول الله ﷺ يؤم الناس وهو حامل أمامة بنت أبي العاص على عاتقه، فإذا ركع وضعها، وإذا رفع من سجوده أعادها(٢٣).

الهوامش

(١) صحيح سنن ابن ماجه للألباني ح ٦٧ .

(٢) صحيح الجامع ٣٤٦٢ عن سمرة .

(٣) صحيح الجامع ١٠٢٣ .

(٤) عون المعبود (ج٨، ص٣٦٣) .

(٥) صحيح الجامع ح ٢١٨٨ .

(٦) صحيح الجامع ١٠٢٤ .

(٧) شرح النووي لصحيح مسلم ج ١ ص ٩ .

(٨) البخاري ح٣٠١٤ .

(٩) مسلم ، كتاب البر والصلة ٤٧٦٩ ، وأحمد .

(١٠) سن البلوغ .

(١١) البخاري ، كتاب الجنائز (١١٧١) ، وأحمد وهذا لفظه .

(١٢) (حسن) . صحيح الجامع ٥٧٧٢ عن عتبة بن عبد .

(١٣) صحيح الجامع ح ٦٢٣٨ عن واثلة .

(١٤) صحيح الجامع ح ٦٦٤٩ .

(١٥) البخاري ، كتاب الأذان ٦٦٧ .

(١٦) البخاري ، كتاب الأذان ٦٦٧ . ومسلم ، كتاب الصلاة ٧٢٣ . وأحمد ، وهذا لفظه .

(١٧) مسلم ،كتاب الصلاة ٧١٤ .

(١٨) البخاري ، كتاب الأدب ح٥٣٧٥ .

(١٩) مسلم ، كتاب الألفاظ من الأدب ، وأحمد ٩٥٨٥ .

(٢٠) صحح إسناده حمزة الزين في تحقيق مسند الإمام أحمد ح١٥٩٧٥، ح٢٧٥١٩ .

(٢١) البخاري ، كتاب الصلاة ٤٨٦ ، ومسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ٨٤٤ .

(٢٢) مسلم كتاب المساجد ح ٥٤٣ .

(٢٣) توضح رواية مسلم والنسائي أن حمله ﷺ لأمامة كان في صلاة الفريضة . وقد قال ذلك أيضًا الحافظ في الفتح ج١ ح ٤٩٤ .

الدعوة إلى السفور دعوة إلى الفجور

بقلم الشيخ
محمد بن ناصر العريني

أيتها الأخت المسلمة كوني على حذر من دعاة السفور والاختلاط، أنتِ أُم الرجال ومدرسة الأجيال، فكوني شامخة كالجبال، لا تغتري بحيلهم الشيطانية، فإنها والله ليست في صالحك إنها قضاء على الحياء، وضياع للأخلاق وتجريد من الفضائل، وأجاد من قال:

فلا والله ما في العيش خير
ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

لا تغتري بكثرة المخدوعات والمغرورات، كوني من المؤمنات الراسخات فنحن في زمان طغت فيه الرذيلة على الفضيلة في كثير من البلدان واحمدي الله أنك في بلد عرف للمرأة قدرها وأعز مكانتها بشريعة الإسلام.

تذكري أن العمر قصير مهما طال، ولا بدَّ يومًا أن تُحملي على أعناق الرجال، وتلك والله هي النهاية والمآل، وما بعده أعظم منه.

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته
يومًا على آلة حدباء محمول

ثم ماذا؟ قبرٌ ظاهره سكون وداخله نعيم، نسأل الله من فضله، أو عذاب- نسأل الله العافية- ثم بعث ونشور، فآخذ كتابه بيمينه مسرور، أو آخذ بشماله يدعو بالويل والثبور، نسأل الله الثبات على دينه في الدنيا والآخرة.

إن الذين ينادون بخروج المرأة وسفورها لا يريدون خيرًا للنساء، بدعواتهم هذه، وإنما هي أهداف يسعون لتحقيقها وهي نشر الإباحية والفوضى الأخلاقية، لتهديم كيان الأُسرة باعتبارها النواة الأساسية في البنية الاجتماعية، واستعمال المرأة وسيلة لإسقاط الحكومات والدول، فهلا يرعوي هؤلاء الذين يلهثون وراء تلك الدعوات الباطلة المنابذة للإسلام وشرائعه السمحة ويبثون سمومهم في عقر دورهم وداخل بلدهم الآمن، نسأل الله لنا ولهم الهداية.

لقد أخفقت المرأة يوم تنازلت عن عرشها ومكانتها العالية التي أوجدها لها الإسلام، وانحطت في مزالق الردى والهوان يوم لبَت تلك الدعوات الضالة فسمحت لنفسها باختلاطها بالرجال سافرة مبتذلة في الميادين والأسواق وأماكن العمل؛ بل وعلى مدرجات الجامعات في كثير من دول العالم العربي والإسلامي، فكانت الصلات المريبة والعلاقات المشينة، فخسرت أعظم ما تملكه، إنَّها مصيبة تساورها حتى تموت إن هي عادت إلى رشدها، وأدركت سوء فعلتها.

لقد صرَّح عدد من النساء الشهيرات عالميًا في مجال التمثيل والمسرح بعدم سعادتهن بعد أن ظللن برهة من الزمن يلهثن خلف كل ناعق من دعاة السفور والاختلاط والنوادي والسينما، وتمردن على دين الله وتعرضن لسخطه، فكوني أُختي المسلمة على حذر واتَّقي الله في نفسك، وخذي العبرة من غيرك حتى لا تقعي فريسة كما وقعن، لا قدر الله عليك سوءًا.

وهنا أُورد باختصار بعضًا من أقوالهن وقد جربن الشهرة والاختلاط والإباحية المحرمة والخلاعة وعدن بالخيبة والتعاسة يندبن حظهن، وسوء تصرفهن، ويحذرن بنات جنسهن من الهوة السحيقة التي منين بها ويطالبن بمنع الاختلاط، والعودة إلى عصر الحجاب والبيت السعيد، والحياة العائلية الشريفة.

قالت الشاعرة المسلمة:

وخير نساء العالمين هي التي
تدير شئون البيت أو فيه تعمل
إذا بقيت في البيت فهي أميرةٌ
يُوقرها مَن حولها ويبجّل
وإسهامُها للشعب إن قدَّمتْ له
رجالاً أُعِدُّوا للبناء وأُهلّوا
رعتْهم صغارًا فهي كانت أساسَهم
تُلقن كلاً ما يقولُ ويفعل

هذا هو الدور الصحيح والمسئولية الحقة للمرأة، قرار في البيت، وانشغال بالطاعة، وإعداد للأجيال، وتعاون مع الأزواج في المعاش والمعاد، فلا مكان لصيحات ودعوات أعداء المرأة

لإخراجها من روضتها وإنزالها عن عرشها، وكشف وجهها بحجة أنها طاقة معطلة ومهانة، والحق أنها دعوات وراءها ما وراءها من الفتن والشرور، فهل يتنبه الغافلون؟

عجبًا أيسكت ذو الفضيلة والهدى
وأخو المفاسد بالخنا يتشدَّق

١- تقول الكاتبة أرنون: «لأن يشتغل بناتنا في البيوت خوادم خير وأخف بلاءً من اشتغالهن بالعمل، حيث تصبح المرأة ملوثة بأدران تذهب برونق حيائها إلى الأبد، ألا ليت بلادنا كبلاد المسلمين فيها الحشمة والعفاف والطهارة». [«فتياتنا بين التغريب والعفاف» د. العمر].

٢- تقول صحفية أمريكية زارت كثيرًا من دول العالم: «امنعوا الاختلاط وقيدوا حرية الفتاة؛ بل ارجعوا إلى عصر الحجاب، فهذا خير لكم من إباحية وانطلاق ومجون أوربا وأمريكا، امنعوا الاختلاط فقد عانينا منه في أمريكا الكثير، لقد أصبح المجتمع الأمريكي مجتمعًا معقدًا مليئًا بكل صور الإباحية والخلاعة، وإن ضحايا الاختلاط والحرية يملأون السجون والأرصفة والبارات والبيوت السرية». اهـ.

٣- تقول فابيان عارضة الأزياء المشهورة: «لولا فضل الله عليَّ ورحمته بي لضاعت حياتي في عالم ينحدر فيه الإنسان ليصبح مجرد حيوان كل همه إشباع رغباته وغرائزه بلا قيم ولا مبادئ».

٤- تقول صحفية فرنسية: «وجدت المرأة العربية المسلمة محترمة ومقدرة داخل بيتها أكثر من الأوربية، وأعتقد أن الزوجة والأُم تعيشان بسعادة تفوق سعادتنا، وتقول للمرأة المسلمة ناصحة لها: لا تأخذي من العائلة الأوربية مثالاً؛ لأن عائلاتها هي أنموذج رديء لا يصلح مثالاً يُحتذى».

٥- ممثلة أمريكية تنتحر بعد حياة بائسة وقد كتبت لفتاة ترغب في العمل في السينما، تقول لها: «احذري المجد، احذري كل من يخدعك بالأضواء، إني أتعس امرأة، أفضل البيت والحياة العائلية الشريفة على كل شيء، إن السعادة الحقيقية للمرأة في الحياة العائلية الشريفة الطاهرة، بل إن الحياة العائلية هي رمز سعادة المرأة، بل الإنسانية. وتقول: لقد ظلمني كل الناس، وإن العمل في السينما يجعل من المرأة سلعة رخيصة تافهة مهما نالت من المجد والشهرة الزائفة، إني أنصح الفتيات بعدم العمل في السينما والتمثيل». اهـ.

هذا قليل من كثير، نسوقه إلى المخدوعات ببريق الشرق أو الغرب واللاهثات وراء كل ناعق ولو على حساب كرامتهن وحيائهن، وقد سجلها من وصلن إلى طريق مسدود في حياتهن وأضعن ما يملكْنَه من شرف وسمت وعُدْن يحذِّرن من مغبة ما وقعن فيه، ولكن بعد ماذا؟ بعد الخزي والعار الذي رضينه لأنفسهن وحطمن به مستقبلهن. فالله الله يا بنات الإسلام. الحذر الحذر قبل الوقوع في الخطر. [«اعترافات متأخرة»].

إنَّ كل دعوة تُوجه إلى المرأة من أي جهة كانت لا تتفق مع أحكام هذه الشريعة المطهَّرة لن تعود عليها بالخير، وإن صيانتها وتوجيهها التوجيه السليم لما يخدمها في دنياها وتحذيرها عن كل ما يخدش كرامتها ويمس حشمتها أمر محمود.

إنَّ الالتزام بشرع الله قولاً وعملاً تمكين في الأرض ونعمٌ تترى، وبركات تتنزَّل، كما أن الذنوب والمعاصي سبب لزوال النعم وحلول النقم، نسأل الله السلامة. يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

قال ابن أبي حاتم عن إبراهيم أن الله أوحى إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل أن قل لقومك: «إنه ليس من أهل قرية ولا أهل بيت يكونون على طاعة الله فيتحولون منها إلى معصية الله إلا حول الله عنهم ما يحبون إلى ما يكرهون». [تفسير ابن كثير].

يقول سماحة الشيخ محمد بن صالح العثيمين في خطبته عن أثر المعاصي: «والله إن المعاصي لتؤثِّر في أمن البلاد وتؤثر في رخائها واقتصادها وتؤثر في قلوب الشعب، إن المعاصي لتوجب نفور الناس بعضهم من بعض».

إن الذي يعتقد أن تطور المجتمعات ورقيها يحصل بسفور النساء واختلاطهن بالرجال في الأعمال وغيرها وقيادتهن للسيارات قد جانب الحق والصواب، فالتطور والرقي يتم بالتسليم قولاً وعملاً لأحكام الإسلام الحنيف الذي أعطى المرأة حقوقها كاملة، وصان عرضها وحماها من الفتن والشرور وأوضح الطريق السوي لكل من يريد الخير في معاشه ومعاده.

يقول عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه: «إنا قوم أعزنا الله بالإسلام فلن نبتغي العز بغيره». [مصنف ابن أبي شيبة (١١٣/٧)].

يقول الملك عبد العزيز رحمه الله وهو يوحد أجزاء هذه البلاد الشاسعة، ويوطد أركانها، ويقضي على المنكرات فيها بلسانه وسيفه: «نحن لا عز لنا إلا بالإسلام، ولا سلاح لنا إلا بالتمسك به وإذا حافظنا عليه حافظنا على عزنا وسلاحنا، وإذا أضعناه ضيعنا أنفسنا وبؤنا بغضب من الله».

ولا يزال- ولله الحمد- أبناؤه من بعده يعلنونها صريحة مدوية في عدد من المناسبات أن لا عز لنا إلا بالإسلام، ولا صلاح ولا فلاح إلا بالتمسك بهذا الدين عقيدة ومنهاجًا. والله من وراء القصد.

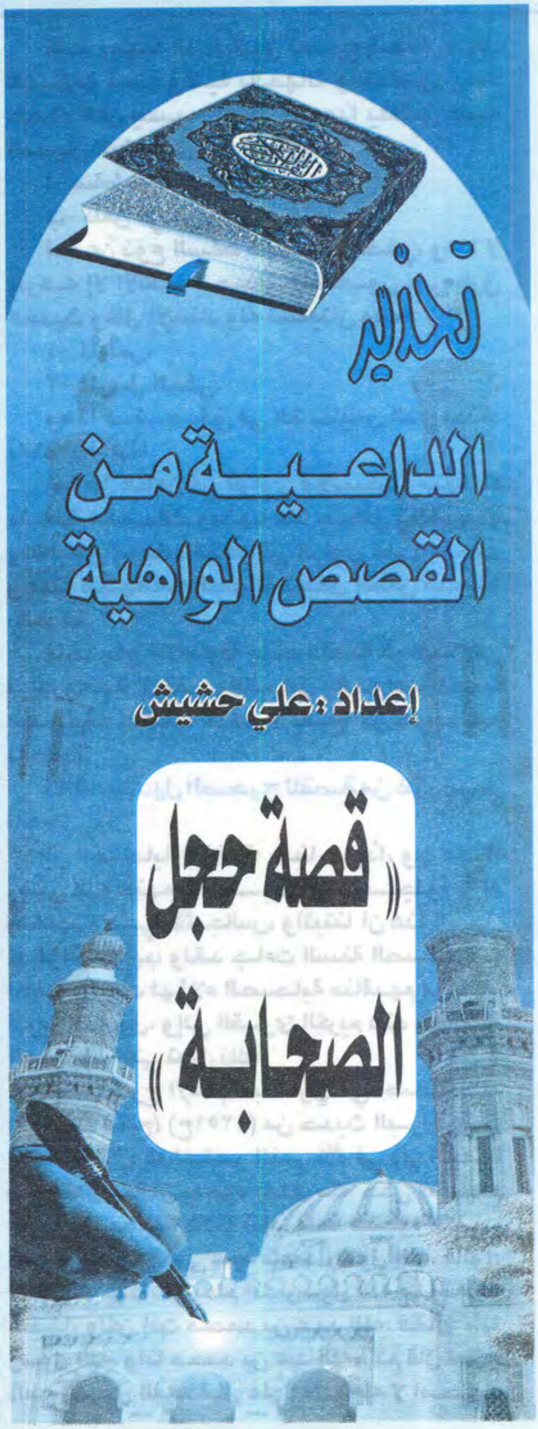

تحذير الداعية من القصص الواهية

إعداد: علي حشيش

«قصة حجل الصحابة»

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة الناس واتخذها المتصوفة دليلاً يلبسون به البدعة ثوب الشرعية، تلك البدعة هي بدعة التمايل والتواجد والرقص في حلقات تسمى حلقات الذكر، فقد جاء في كتاب «منهاج الصوفية» مؤلفه حسن كامل الملطاوي، وقد أصدره المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر، العدد (٦١) تحت عنوان «الرد على اعتراضات المعترضين» (ص٩١) قال: «يعيب بعض الناس على الطرق الصوفية أمورًا كثيرة، وسأضعها تحت نظر القارئ العزيز مع الرد عليها واحدة واحدة».

قلت: ثم ذكر المؤلف من الأمور التي هي موضع الاعتراض (ص٩٥): «التمايل والتواجد»، حيث قال: «ما بقي ما يعترض به على التمايل والتواجد، وقد كانا في صدر الإسلام... أما التواجد فقد روى الإمام أحمد عن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، أن سادتنا عليًا وجعفرًا وزيدًا قدموا على مولانا رسول الله ﷺ. فقال عليه الصلاة والسلام لزيد: «أنت مولاي» فحجل. وقال لجعفر: «أشبهت خلقي وخُلقي» فحجل. وقال لي: «أنت مني» فحجلت. انتهى الحديث.

ثم قال المؤلف: «والحجل أن يمشي على رجل واحدة، فهؤلاء الكرام تواجدوا وحجلوا بين يديه ﷺ بلا إرادة من النشوة التي حصلت لهم». اهـ.

قلت: انظر أيها القارئ الكريم كيف اتخذ المؤلف من هذه القصة دليلاً لمشروعية التمايل والتواجد والرقص الذي تفعله المتصوفة ويتخذها حجة للدفاع عن منهاج الصوفية، ويرد بها على من يعترض عليهم، وسأبين للقارئ الكريم أن حجته داحضة من غير أن أمس شخص المؤلف سواء كان حيًا أم ميتًا بشيء؛ لأن المؤلف إن كان استخدم هذه القصة لتكون حجة للمبتدعين فقد استخدمها من قبل ابن منظور في «لسان العرب» لتكون حجة للغويين. حيث قال في «اللسان» (١١/١٤٤): «وفي الحديث: أن النبي ﷺ قال لزيد: «أنت مولانا» فحجل». ثم قال :الحَجْل: أن يرفع رِجْلاً ويقفز على الأخرى من الفرح». اهـ.

وإلى القارئ الكريم تخريج هذه القصة:

أولاً التخريج:

الحديث الذي جاءت به هذه القصة أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (١٠٨/١) (ح٨٥٧) قال: حدثنا أسود- يعني بن عامر- أنبأنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن هانئ بن هانئ، عن علي رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ، وجعفر، وزيد، قال: فقال لزيد: «أنت مولاي». فحجل، قال: وقال لجعفر: «أنت اشبهت خلقي وخلقي». قال: فحجل وراء زيد، قال: وقال لي: «أنت مني وأنا منك»، فحجلت وراء جعفر. اهـ.

ثانيًا التحقيق:

قصة ليست صحيحة، وسندها الذي جاءت به واهٍ بعلتين:

الأولى: جهالة هانئ بن هانئ.

أورده الإمام المزي في «تهذيب الكمال» (٧١٢٤/٢٢٢/١٩) قال: هانئ بن هانئ الهمداني الكوفي: روى عن: علي بن أبي طالب، روى عنه: أبو إسحاق السبيعي، ولم يرو عنه غيره.

قال الحافظ ابن حجر في «تهذيب التهذيب» (٢٢/١١): «ذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من أهل الكوفة، قال: وكان يتشيع، وقال ابن المديني مجهول، وقال حرملة عن الشافعي: هانئ بن هانئ: لا يعرف».

قلت: وذكره الذهبي في «الميزان» (٩١٩٩/٢٩١/٤)، ونقل قول ابن المديني: مجهول وأقره.

الثانية: تدليس أبي إسحاق السبيعي. فقد أورده الحافظ ابن حجر في «طبقات المدلسين» في المرتبة الثالثة برقم (٢٥) قال: «عمرو بن عبد الله السبيعي الكوفي مشهور بالتدليس».

قلت: وهذه المرتبة الثالثة بين حكمها الحافظ في مقدمة «طبقات المدلسين»، حيث قال: «الثالثة: من أكثر من التدليس فلم يحتج الأئمة من أحاديثهم إلا بما صرحوا فيه بالسماع..».

قلت: وبتطبيق هذه القاعدة على الحديث الذي جاءت به هذه القصة نجد أن أبا إسحاق السبيعي لم يصرح بالسماع، فبطل الاحتجاج بهذا الحديث.

قلت: وفي «تهذيب التهذيب» (٥٩/٨) قال الحافظ ابن حجر في ترجمة أبي إسحاق السبيعي: «ذكره في المدلسين: حسين الكرابيسي، وأبو جعفر الطبري».

قلت: وبهذا التحقيق تصبح قصة حجل الصحابة قصة واهية بالجهالة والتدليس، وعند علماء الفن يصبح السند مردودًا ينطبق عليه السببان الرئيسيان للرد معًا وهما:

أ- سقط من الإسناد.

ب- طعن في الراوي.

أما عن نوع السقط فهو سقط خفي، وهذا لا يدركه إلا الأئمة الحذاق المطلعون على طرق الحديث وعلل الإسناد وله تسميتان وهما:

١- المُدلّس.

٢- المرسل الخفي.

وهذا متحقق في التدليس الذي بيناه بالتفصيل آنفًا.

أما عن الطعن في الراوي فلأسباب : منها ما يتعلق بالعدالة، ومنها ما يتعلق بالضبط، وبتطبيق أسباب الطعن في الراوي على الحديث وجدنا الجهالة، والجهالة تجعل الطعن متعلقًا بالعدالة.

فاحتجاج المتصوفة بهذه القصة الواهية على مشروعية الرقص والتمايل والتواجد فيما يسمونه حلقات الذكر لا يصح؛ لأن حجتهم داحضة.

ثالثا: البديل الصحيح للقصة من غير فرية الحجل:

إن الصحابة الثلاثة: عليًا، وزيدًا، وجعفرًا، رضي الله عنهم، لم يثبت أنهم حجلوا وراء بعضهم والنبي ﷺ جالس، وأثبتنا أن هذا الحجل افتراءً عليهم، ولقد جاءت السنة الصحيحة المطهرة تثبت لهؤلاء الصحابة مناقبهم من غير فرية الحجل. وإلى القارئ الكريم هذه القصة الصحيحة التي تبيّن ذلك:

فقد أخرج الإمام البخاري في «صحيحه» (٥٧٠/٧- فتح) (ح٤٢٥١) من حديث البراء رضي الله عنه قال: لما اعتمر النبي ﷺ في ذي القعدة فأبى أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة حتى قاضاهم على أن يقيم بها ثلاثة أيام، فلما كتبوا الكتاب كتبوا: هذا ما قضى عليه محمد رسول الله، قالوا: لا نقر لك بهذا، لو نعلم أنك رسول الله ما منعناك شيئًا، ولكن أنت محمد بن عبد الله. فقال: «أنا رسول الله، وأنا محمد بن عبد الله». ثم قال لعلي: «امح رسول الله». قال علي: «لا والله لا أمحوك

أبدًا». [فقال رسول الله ﷺ: «أرني مكانها»، فأراه مكانها، فمحاها](١). فكتب: هذا ما قاضى محمد بن عبدالله لا يدخل مكة السلاح إلا السيف في القِراب، وأن لا يخرج من أهلها بأحد إن أراد أن يتبعه، وأن لا يمنع من أصحابه أحدًا إن أراد أن يقيم بها، فلما دخلها ومضى الأجل أتوا عليًا فقالوا: قل لصاحبك: اخرج عنا فقد مضى الأجل، فخرج النبي ﷺ فتبعته ابنة حمزة تنادي: يا عمّ، يا عمّ، فتناولها عليٌّ فأخذ بيدها وقال لفاطمة عليها السلام: دونك ابنة عمك فحملتها، فاختصم فيها علي، وزيد، وجعفر، فقال علي: أنا أخذتها وهي بنت عمي، وقال جعفر: ابنة عمي وخالتها تحتي، وقال زيد: ابنة أخي، فقضى بها النبي ﷺ لخالتها، وقال: «الخالة بمنزلة الأم». وقال لعلي: «أنت مني وأنا منك». وقال لجعفر: «أشبهت خَلقي وخُلقي». وقال لزيد: «أنت أخونا ومولانا». وقال عليّ: «ألا تتزوج بنت حمزة؟» قال: إنها ابنة أخي من الرضاعة. قلت: هذه هي القصة الصحيحة، وهذه ألفاظها التي تبين مناقب الصحابة الثلاثة: علي، وجعفر، وزيد رضي اللّه عنهم، وبراءتهم من الحجل الذي فيه رفع رجْل وقفز على الأخرى، هذا الوضع الذي لا يليق بإنسان عنده رزانة، فضلاً عن أنهم صحابة خاصة بين يدي رسول الله ﷺ.

رابعا: حال الصحابة كما في الكتاب والسنة:

١- ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢].

قال الإمام القرطبي في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن» (٤/٢٨٩١): «ونظيره هذه الآية: ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ. الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: ٣٤، ٣٥]، وقال: ﴿ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ٢٨].

فهذا يرجع إلى كمال المعرفة وثقة القلب، والوَجَل: الفزع من عذاب الله، فلا تناقض، وقد جمع الله بين المعنيين في قوله: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣] .أي: تسكن نفوسهم من حيث اليقين إلى الله وإن كانوا يخافون الله. فهذه حالة العارفين بالله، الخائفين من سطوته وعقوبته، لا كما يفعله جهال العوام، والمبتدعة الطغام من الزعيق والزئير ومن النهاق الذي يشبه نهاق الحمير(٢)، فيقال لمن تعاطى ذلك وزعم أن ذلك وجد وخشوع: لم تبلغ أن تساوى حال الرسول ولا حال أصحابه في المعرفة بالله. والخوف منه والتعظيم لجلاله، ومع ذلك فكانت حالهم عند المواعظ الفهم عن الله والبكاء خوفًا من الله فمن كان مستنًا فليستنّ، ومن تعاطى أحوال المجانين والجنون فهو من أحسنهم حالاً، والجنون فنون. روى مسلم عن أنس بن مالك أن الناس سألوا النبي ﷺ حتى أحْفَوْه في المسألة، فخرج ذات يوم فصعد المنبر فقال: «سلوني لا تسألوني عن شيء إلا بينته لكم ما دمت في مقامي هذا». فلما سمع ذلك القوم أرَمّوا ورهبوا أن يكون بين يدي أمر قد حضر. قال أنس: فجعلت ألتفت يمينًا وشمالاً فإذا كل إنسان لافٌ رأسه في ثوبه يبكي، وذكر الحديث، وروى الترمذي وصححه عن العرباض بن سارية قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب. الحديث. ولم يقل: زعقنا ولا رقصنا ولا زفَنّا ولا قمنا. انتهى كلام القرطبي. والزفن هو الرقص.

خامسًا: تعلقات واهية:

قلت: وللإمام القرطبي في «تفسيره» (٥/٤٠٩٦) للآية (١٤/ الكهف) في قوله تعالى: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾ رد على الصوفية عندما اتخذوها حجة لهم في التمايل والوجد، حيث قال الإمام القرطبي: قال ابن عطية: تعلقت الصوفية في القيام والقول بقوله: ﴿إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾. قال الإمام القرطبي: «وهذا تعلق غير صحيح، هؤلاء قاموا فذكروا الله على هدايته وشكروا لما أولاهم من نعَمْه ونعمته، ثم هاموا على وجوههم منقطعين إلى ربهم خائفين من قومهم، وهذه سنة الله في الرسل والأنبياء والفضلاء الأولياء. أين هذا من ضرب الأرض بالأقدام والرقص بالأكمام، وخاصة في هذه الأزمان عند سماع الأصوات الحسان من المُرْد والنسوان؛ هيهات! بينهما والله ما بين الأرض والسماء ثم هذا حرام عند جماعة العلماء». اهـ.

سادسًا: تعلق غير صحيح بحديث صحيح:

تعلقت الصوفية في التمايل والتواجد بحديث: «المؤمن كخامة الزرع»، حيث قال الملطاوي في «منهاج الصوفية» (ص٩٥): «بقي ما يعترض به على التمايل والتواجد، وقد كانا في صدر الإسلام، فقد ورد أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يتمايلون يمنة ويسرة كما ورد في الحديث أن المؤمن كخامة الزرع تفيئها الريح هاهنا وهاهنا».

قلت: وهذا تعلق غير صحيح، فمتن الحديث: «مثل المؤمن كالخامة من الزرع تفيئها الريح مرة وتعدلها مرة، ومثل المنافق كالأَرْزَة لا تزال حتى يكون انجعافها مرة واحدة».

١- الحديث أخرجه البخاري في «الفتح» (١٠/١٠٧) (ح٥٦٤٣)، ومسلم (ح٢٨١٠)، وأحمد (٣/٥٤٥) (ح١٥٨٠٧) من حديث كعب بن مالك.

٢- غريب ألفاظ الحديث.

أ- الخامة: وهي القصبة اللينة من الزرع.

ب- تفيئها: أي تميلها بوزنه ومعناهُ.

جـ- الأرزه: بفتح الهمزة وسكون الراء بعدها زاي، كذا للأكثر: هو شجر معتدل صلب لا يحركه هبوب الريح، ويقال له الأرزن يكون بالشام وبلاد الأرمن، أورده الإمام النووي والحافظ في «الفتح» في شرحهما للحديث، وفي «لسان العرب» (٥/٣٠٦).

قلت: وشجرة الأرزة غير نبات الأرز ذي السنابل التي تؤكل.

د- انجعافها: بجيم ومهملة، ثم فاء: أي انقلاعها.

٣- فقه الحديث كما هو فهم السلف.

أورد الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١٠/١١١) معنى الحديث فقال: «قال المهلب: معنى الحديث أن المؤمن حيث جاءه أمر الله انطاع له، فإن وقع له خير فرح به وشكر، وإن وقع مكروه صبر ورجا فيه الخير والأجر، فإذا اندفع عنه اعتدل شاكرًا، والكافر لا يتفقده الله باختباره بل يحصل له التيسير في الدنيا ليتعسر عليه الحال في المعاد، حتى إذا أراد الله إهلاكه قصمه فيكون موته أشد عذابًا عليه وأكثر ألمًا في خروج نفسه». اهـ.

قلت: وهذا الوعيد إذا تدبرت كتاب الله تجده في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ. فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٤، ٤٥]، فقوله تعالى: ﴿أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً﴾ يفسرها قوله ﷺ: «انجعافها مرة واحدة»، أما المسلم فكما أخرج البخاري (ح٥٦٤٠) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها».

قلت: وهذا ما نقله الإمام النووي لفهمه لهذا الحديث عن السلف الصالح من أئمة الدين رحمهم الله، حيث قال: «قال العلماء: معنى الحديث أن المؤمن كثير الآلام في بدنه أو أهله، أو ماله، وذلك مكفر لسيئاته، ورافع لدرجاته، أما الكافر فقليلها، وإن وقع به شيء، لم يكفر شيئًا من سيئاته، بل يأتي بها يوم القيامة كاملة». اهـ.

قلت: ويكون كالأرزة انجعافها مرة واحدة يؤخذ بغتة ويقطع دابره. هذا هو فهم السلف للحديث. فأين هذا من ضرب الأرض بالأقدام والرقص بالأكمام والتمايل والتواجد في بدعة يسميها الصوفية الذكر، ونقول كما قال القرطبي رحمه الله: «هيهات بينهما والله ما بين الأرض والسماء».

قلت: نستخلص من هذا البحث العلمي الحديثي أن القصة واهية، وتعلق الصوفية في التمايل والتواجد بها لا يصح، والقصة الصحيحة ليس بها حجل، وبيّنا حال أهل السنة والجماعة عند سماع القرآن والمواعظ وحال أهل البدعة، وأبطلنا تعلق الصوفية ببعض آيات القرآن والأحاديث الصحيحة في التمايل والتواجد، وبيّنا فهم هذه الآيات والأحاديث بمنهج أهل السنة والجماعة. حفظنا الله من أهل البدعة والفرقة والضلالة.

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

الهوامش

(١) ما بين المعكوفين لفظ مسلم (ح١٧٨٣) كتاب الجهاد (ح٩٢).

(٢) هذه عبارة الإمام القرطبي في «تفسيره» انقلها للأمانة العلمية من غير حذف أو إضافة أو تغيير.

أخي القارئ صحح أحاديثك

بقلم : علي حشيش

أقدم لك عزيزي القارئ الحلقة الثامنة من سلسلة «صحح حديثك» حول صفة إبليس وجنوده.

أولا: يدعي ابن عربي أن النبي ﷺ قال: لإبليس: «لولا أتيتني بتصديق كل قول بآية من كتاب الله تعالى ما صدقتك.

قال إبليس: يا محمد سألت الله تعالى أن أرى بني آدم وهم لا يروني فأجراني على عروقهم مجرى الدم أجول بنفسي كيف شئت وإن شئت في ساعة واحدة فقال الله تعالى لك ما سألت وأنا أفتخر بذلك إلى يوم القيامة».

الحكم: الحديث ليس صحيحا بل هو حديث مكذوب مختلق لا أصل له في كتب السنة.

- «البديل الصحيح» حول جري الشيطان من الإنسان.

عن صفية بنت حُييّ قالت: كان النبي ﷺ معتكفا فأتيته أزوره ليلا، فحدثته ثم قمت لأنقلب فقام معي لِيَقْلِبَني، وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد، فمر رجلان من الأنصار، فلما رَأَيا النبي ﷺ أسرعا، فقال النبي ﷺ: «على رسْلِكُمَا إنها صفية بنت حيي» فقالا: سبحان الله يا رسول الله ﷺ قال: «إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم، وإني خَشِيتُ أن يقذف في قلوبكما شرًا أو قال شيئا».

الحكم: الحديث صحيح متفق عليه أخرجه البخاري ح (٢٠٣٥)، (٢٠٣٨)، (٢٠٣٩)، (٣١٠١)، (٣٢٨١)، (٦٢١٩)، (٧١٧١)، ومسلم ح (٢١٧٥) وغيرهما كما في «تحفة الأشراف» ح(١٥٩٠١) و«جري الشيطان» من قول النبي ﷺ وليس من اعترافات إبليس.

ثانيًا: يدعي ابن عربي أن النبي ﷺ قال لإبليس - عندما جاءه عيانا - كم سألت ربك من حاجة؟

قال إبليس: عشرة أشياء.

قال النبي فما هي يا لعين؟

ذكر منها إبليس سألته أن يجعل لي مسجدًا فكان الأسواق»

الحكم: الحديث ليس صحيحا بل هو حدث مكذوب مختلق لا أصل له كما بينا من مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية (١٨/٣٥٠).

- «البديل الصحيح» حول علاقة الشيطان بالأسواق عن سلمان الفارسي: «لا تكونن إن استطعت أول من يدخل السوق ولا آخر من يخرج منها فإنها معركة الشيطان».

الحكم الحديث صحيح أخرجه مسلم (٨/١٦) ح (٢٤٥١).

قلت: هذا الحديث موقوف لفظا مرفوع حكما حيث بين الحافظ في «شرح النخبة» الأحوال التي يكون فيها الحديث مرفوعا حكما لا تصريحا فقال:

ومثال المرفوع من القول حكما لا تصريحا:

١ - «أن يقول الصحابي - الذي لم يأخذ عن الإسرائيليات - ما لا مجال للاجتهاد فيه، ولا له تَعلق ببيان لغة أو شرح غريب كالإخبار عن الأمور الماضية من بدء الخلق وأخبار الأنبياء.

٢ - أو الآتية كالملاحم والفتن وأهوال يوم القيامة.

٣ - وكذا الإخبار عما يحصل بفعله ثواب مخصوص أو عقاب مخصوص وإنما كان له حكم الرفع لأن إخباره بذلك يقتضي مخبرا له، وما لا مجال للاجتهاد فيه يقتضي مُوَقِّفًا للقائل به - ولا موقف للصحابة إلا النبي ﷺ أو بعض من يخبر عن الكتب الماضية. فلهذا وقع الاحتراز عن القسم الثاني» اهـ.

قلت: وبالتطبيق نجد أن هذا الخبر ينطبق على الإخبار عن الأمور الماضية من بدء الخلق لذلك بوَّب البخاري رحمه الله بابا بعنوان: «صفة إبليس وجنوده» جعله رقم (١١) تحت كتاب «بدء الخلق».

قلت: وانظر «تحفة الأشراف» (٣٢/٤) ح(٤٥٠١) وكذا الحاشية.

وهذان مثالان من البدائل الصحيحة لحديث ابن عربي المفتري على النبي ﷺ والذي يدعي فيه أن الرسول ﷺ يسأل وإبليس يجيب، هذه البدائل التي لا تتسع مساحة المجلة (حفظها الله) لذكرها حيث أن الأسئلة التي نسبها ابن عربي إلى النبي ﷺ كثيرة.

ثالثا: يدعي ابن عربي أن النبي سأل إبليس فقال: «ما تقول في عمر بن الخطاب؟» فقال إبليس: «والله ما لقيته إلا وهربت منه».

- الحكم: الحديث ليس صحيحا بل هو كذب مختلَق مصنوع كما بيَّنا آنفا وأنه لا أصل له.

- البديل الصحيح حول هروب الشيطان من عمر رضي الله عنه.

قال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب: «والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجًا إلا سلك فجًا غير فجك».

الحكم: الحديث صحيح متفق عليه أخرجه البخاري (٦/٣٩ - فتح)، مسلم (١٥/١٦٥ - شرح النووي).

قلت: من هذا يتبين أن هروب الشيطان من عمر رضي الله عنه من قول النبي ﷺ وليس من اعترافات إبليس اللعين للرسول ﷺ كما يدعي ابن عربي.

فائدة هامة:

ثبت من مجموع ما سبق أن الرسول ﷺ ما سأل إبليس عن شيء مما ادعاه ابن عربي، ولا إبليس أجاب عن ذلك من شيء.

بل الثابت الصحيح في تعليم الصحابة دينهم، ما رواه عمر وغيره رضي الله عنهم في الصحيحين من حديث جبريل الذي جاء فيه إلى النبي ﷺ يسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان والساعة وأماراتها، ورغم أن النبي ﷺ أخبر أن جبريل جاء يعلم الصحابة دينهم، فإن هذا التعليم كله كان على لسان النبي محمد ﷺ من خلال إجاباته على أسئلة جبريل عليه السلام.

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

يجيب عليها لجنة الفتوى بالمركز العام

محمد صفوت نور الدين
د. جمال المراكبي

الرضاعة تحرم ما يحرم الولادة

يسأل صبري عبود أحمد- مقيم بالسادس من أكتوبر يقول:
ابني من زوجتي الأولى عقد على ابنة أختي، ولكن ابنة أختي هذه رضعت من زوجتي الثانية لمدة يوم كامل وبقية اليوم الثاني، وسمعت بعد ذلك أن هناك من يفتي بحرمة هذا الزواج. أفتونا مأجورين.

الجواب: إذا كانت زوجتك الثانية قد أرضعت ابنة أختك خمس رضعات مشبعات، كما هو واضح بالسؤال، فإن هذه البنت أصبحت بنتًا لك من الرضاع؛ لأنَّ حرمة الرضاع تنتشر إلى الأم المرضع، وإلى أبنائها، وإلى زوجها صاحب اللبن؛ لقول النبي ﷺ: «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب». وفي لفظ: «الرضاعة تحرم ما تحرم الولادة». وإذا صارت هذه البنت بنتًا لك من الرضاعة فلا يجوز لابنك من امرأة أخرى أن يتزوجها؛ لأنها أخته لأبيه من الرضاعة. والله أعلم.

الذكر المشروع والذكر غير المشروع

ويسأل أحمد مصطفى- أسيوط- القوصية:
عن الحضرة التي يقيمها الصوفية ويتمايلون فيها يمينًا وشمالاً، وهل هذا هو قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ...﴾ [آل عمران: ١٩١]؟

والجواب: أن الذكر يطمئن به القلب: ﴿ أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، وهو العبادة الكبرى؛ لقوله تعالى: ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾، بل هو تكليف الله لأنبيائه، حيث قال موسى لما سأل ربه أن يعينه بأخيه هارون: ﴿ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا. وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾. وقال لهما لما بعثهما إلى فرعون: ﴿ وَلاَ تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾.

وقد جاءت السنة بالذكر، فيقول الشيخ عبدالرحمن الوكيل رحمه الله تعالى: ومن عبير السنة المطهرة، يسطع عليك ما يشفي روحك، فقارن بينه وبين ذلك الْيَحْمُوم الصوفي، قال ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم». [متفق عليه].

وكان ﷺ يقول دبر كل صلاة حين يُسلم: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، ولا حول ولا قوة إلا بالله، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه، له النعمة، وله الفضل، وله الثناء الحسن، لا إله إلا الله، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون». [رواه مسلم].

وقال: «سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليَّ، وأبوء بذنبي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت». [رواه البخاري].

وفي الصحيحين عن ابن عباس، قال: كان رسول ﷺ يقول، إذا قام إلى الصلاة في جوف الليل: «اللهم لك الحمد؛ أنت نور السماوات والأرض ومَنْ فيهن، ولك الحمد؛ أنت قَيَّام السماوات والأرض ومَنْ فيهن، ولك الحمد؛ أنت رَبُّ السماوات والأرض، ومن فيهن، ولك الحمد، أنت الحق، ووعدك الحقُّ، وقولك الحق، ولقاؤك الحق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد حق، والساعة حق، اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت، وما

أخرت وما أسررت وما أعلنت، أنت إلهي لا إله إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك».

أرأيت إلى هذا الذكر النبوي الجامع؟ إنها الضراعة النبوية والعبودية الخالصة تفتحت لها أبوابُ السماء، ما فيه ذكرٌ باسم مفرد، ولا ضربُ صدرٍ بذقن، ولا هزة الرأس إلى أخمص القدم! ما فيه التَّنَاوُح بالرأس يَمْنَة ويسْرَة، ولا نَتْعٌ من سُرَّةٍ إلى قلب، ما فيه منشد، ولا دف، ولا شبابة، ما فيه دائرة يقف في مركزها نُصُب يرقص الذاكرين بِتَصْدِيته! إنما فيه قلب مؤمن ضارع ملأه حب الله وخشية ورهبة وتقوى، يتوجه إلى خالقه الأعظم، مالك الملك كله في إيمان صادق، وتوحيد خالص، فصلوات الله وسلامه على محمد عبد الله ورسوله. اهـ.

وقال ابن كثير كما ثبت في صحيح البخاري عن عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ قال: «صلّ قائمًا، فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لم تستطع فعلى جنب» أي: لا يقطعون ذكره في جميع أحوالهم بسرائرهم وضمائرهم وألسنتهم. وقال في سورة النساء: أي في سائر أحوالكم.

أخفى الله عن العبد قبول عمله

ويسأل: أشرف أحمد إبراهيم- منيا القمح- محافظة الشرقية:

عن علامات قبول الدعاء والتوبة؟

والجواب: إن الله سبحانه وتعالى أخبأ عن عباده قبول العمل ورده، وإن أبقى سبحانه إشارات لذلك إلا أنها ليست وسيلة للحكم بقبول العمل أو رده، وذلك من رحمة الله سبحانه، فإن الله جلت قدرته قص علينا قصة ابني آدم، قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ. لَئِنْ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ. إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ. فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ. فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ [المائدة: ٢٧- ٣١].

فقامت العداوة بينهما ووقع القتل لأنه عرف أن عمله حبط، والآخر قبل عمله، وكذلك حتى لا يتكل العبد على عمله الذي قبل منه فيتجرأ على المعصية.

لكن من الإشارات المرجو بها القبول أن يكون الصالحات حبيبة إلى النفوس والمعاصي مكروهة لديها، وأن يكون العبد يعمل العمل الصالح بعد الصالح، فمن ثواب الحسنة الحسنة بعدها.

هدي السلف في القيام لمصافحة القادم

ويسأل عن القيام عند المصافحة، لذلك ننقل فتوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/٢٥٨، ٢٥٩):

الحمد لله رب العالمين. لم يكن من شأنه عادة السلف على عهد النبي ﷺ وخلفائه الراشدين، أن يعتادوا القيام كلما يرونه عليه السلام كما يفعله كثير من الناس، بل قد قال أنس بن مالك: لم يكن شخص أحب إليهم من النبي ﷺ، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له؛ لما يعلمون من كراهته لذلك، ولكن ربما قاموا للقادم من مغيبه تلقيًا له، كما روي عن النبي ﷺ أنه قام لعكرمة، وقال للأنصار لما قدم سعد بن معاذ: «قوموا إلى سيدكم». وكان قد قدم ليحكم في بني قريظة لأنهم نزلوا على حكمه.

والذي ينبغي للناس أن يعتادوا اتباع السلف على ما كانوا عليه على عهد رسول ﷺ، فإنهم خير القرون، وخير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، فلا يعدل أحد عن هدي خير الورى، وهدي خير القرون إلى ما هو دونه، وينبغي للمطاع ألا يقر ذلك مع أصحابه، بحيث إذا رأوه لم يقوموا له

في اللقاء المعتاد.

وأما القيام لمن يقدم من سفر ونحو ذلك تلقيًا له فحسن.

وإذا كان من عادة الناس إكرام الجائي بالقيام ولو ترك لاعتقد أن ذلك بخس في حقه أو قصد خفضه ولم يعلم العادة الموافقة للسنة فالأصلح أن يقام له؛ لأن ذلك أصلح لذات البين، وإزالة التباغض والشحناء، وأما من عرف عادة القوم الموافقة للسنة، فليس في ترك ذلك إيذاء له، وليس هذا القيام المذكور في قوله ﷺ : «من سره أن يتمثل له الرجال قيامًا فليتبوأ مقعده من النار». فإن ذلك أن يقوموا له وهو قاعد، ليس هو أن يقوموا لمجيئه إذا جاء، ولهذا فرقوا بين أن يقال: قمت إليه وقمت له، والقائم للقادم ساواه في القيام، بخلاف القائم للقاعد.

وقد ثبت في صحيح مسلم: أن النبي ﷺ لما صلى بهم قاعدًا في مرضه صلوا قيامًا أمرهم بالقعود، وقال: «لا تعظموني كما يعظم الأعاجم بعضها بعضًا». وقد نهاهم عن القيام في الصلاة وهو قاعد؛ لئلا يتشبه بالأعاجم الذين يقومون لعظمائهم وهم قعود.

وجماع ذلك كله الذي يصلح اتباع عادات السلف وأخلاقهم، والاجتهاد عليه بحسب الإمكان، فمن لم يعتقد ذلك ولم يعرف أنه العادة وكان في ترك معاملته بما اعتاد من الناس من الاحترام مفسدة راجحة، فإنه يدفع أعظم الفسادين بالتزام أدناهما، كما يجب فعل أعظم الصلاحين بتفويت أدناهما.

حكم قراءة القرآن في المآتم

ويسأل: عيسى يونس عبد الرشيد- عزبة النقطة بني هلال- منيا القمح- شرقية:

لي أخ يحفظ القرآن الكريم كاملاً ويعمل قارئًا للقرآن في الجنازات، ولكني نصحته أكثر من مرة وقلت له: إن هذه الأمور من البدع، والمشارك في البدعة مبتدع، ولكنه يقول لي: أنا لا اشترط على أجر مهما كان الأجر قليلاً أو كثيرًا وهذا ليس فيه حرام ولم يرد به نص تحريم. فأرجو من سيادتكم توضيح هذا الأمر؟

الجواب: الجلوس للعزاء بدعة، والقارئ فيها مشارك في هذه البدع، حتى ولو لم ياخذ على هذه القراءة أجرًا، فعمله هذا لا يجوز، وقد أفتى بذلك الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر الأسبق فقال في إقامة المآتم: أما إقامة المآتم ليلة أو أكثر فقد أجمع العلماء على حرمته إذا كان على الهيئة التي نعهدها اليوم من إقامة السرادقات التي تتطلب نفقات باهظة في غير غرض صحيح، وتشتد الحرمة إذا كان في الورثة قاصر يحمل نصيبه من هذه النفقات، أو كان أهل الميت في حاجة إلى ما ينفق في هذا السبيل.

وتتضاعف شدة الحرمة إذا كان الحصول على هذه الأمور عن طريق الربا كما يفعله بعض الناس التماسًا للشهرة، وقد كانت سنة رسول ﷺ؛ أن ينصرف الناس بعد دفن الميت إلى مصالحهم، وأن يعزى أهل الميت حين المقابلة في الأيام الثلاثة الأولى، ولم يثبت عن مسلمي الصدر الأول أنهم جلسوا في مكان معين بقصد أن يذهب الناس إلى تعزيتهم في موتاهم.

ويسأل: سيد عبد الله عبد الرحمن- الجيزة:

عن الحكم في رجل حديث عهد بزواج وينزل منه المني أحيانًا أثناء الصلاة، فما الحكم؟

والجواب: اعلم أيها القارئ الكريم أن المني لا ينزل من الرجل إلا مصحوبًا بشهوة في القبل وقشعريرة في البدن، كما ذكر ذلك ابن عباس رضي الله عنهما لما سأله رجل فقال: إنني كلما بلت تبعه الماء الدافق، فقال له: هل تجد شهوة في قبلك؟ قال: لا، قال: هل تجد قشعريرة في بدنك؟ قال: لا. قال ابن عباس رضي الله عنهما: إنما هي أبردة يجزئك منها الوضوء.

والله أعلم

فتاوى

أجاب عليها
سماحة الشيخ: ابن عثيمين رحمه الله

صلاة الفريضة قبل دخول الوقت لا تجزىء

سُئل: إذا صلى الإنسان قبل الوقت جهلاً فما الحكم؟

أجاب: صلاة الإنسان قبل الوقت لا تجزئه عن الفريضة؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣]، وبيّن النبي ﷺ هذه الأوقات في قوله: «وقت الظهر إذا زالت الشمس» إلخ الحديث. [أخرجه البخاري] .وعلى هذا فمن صلى صلاة قبل وقتها فإن صلاته لا تجزئه عن الفريضة، لكنها تقع نفلاً، بمعنى أنه يُثاب عليها ثواب نفل، وعليه أن يعيد الصلاة بعد دخول الوقت. والله أعلم.

تحية المسجد مشروعة في كل وقت

سُئل: ما هي أوقات النهي، وعن تحية المسجد قبل صلاة المغرب؛ هل تكون قبل الأذان أو بعده، أفتونا جزاكم الله خيرًا؟

أجاب: أوقات النهي ثلاثة :

الوقت الأول: من صلاة الفجر إلى أن ترتفع الشمس قيد رمح؛ أي إلى ما بعد طلوع الشمس بربع ساعة إلى ثلث ساعة.

الوقت الثاني: قبل الزوال بنحو عشر دقائق؛ وهو قبل دخول وقت الظهر بنحو عشر دقائق.

والوقت الثالث: من صلاة العصر إلى أن يستكمل غروب الشمس. هذه هي أوقات النهي.

أما بالنسبة لتحية المسجد فمشروعة في كل وقت، فمتى دخلت المسجد فلا تجلس حتى تصلي ركعتين، حتى في أوقات النهي.

وينبغي أن يعلم أن القول الراجح من أقوال أهل العلم أن جميع النوافل التي هي من ذوات الأسباب ليس فيها نهي، بل تفعل حتى في وقت النهي، فإذا دخلت المسجد بعد صلاة الفجر فصلّ ركعتين، وإذا دخلت بعد صلاة العصر فصلّ ركعتين، وإذا دخلت المسجد قبيل الزوال فصل ركعتين، وإذا دخلت في أي ساعة من ليل أو نهار فلا تجلس حتى تصلي ركعتين.

طالب العلم الشرعي يعطى من الزكاة

سُئل: ما حكم إعطاء الزكاة لطالب العلم؟

أجاب: طالب العلم المتفرغ لطلب العلم الشرعي وإن كان قادرًا على التكسب يجوز أن يُعطى من الزكاة؛ لأن طلب العلم الشرعي نوع من الجهاد في سبيل الله، والله تبارك وتعالى جعل الجهاد في سبيل الله جهة استحقاق في الزكاة فقال: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠].

أما إذا كانَ الطالبَ متفرغًا لطلب علم دنيوي فإنه لا يعطى من الزكاة، ونقول له: أنت الآن تعمل للدنيا، ويمكنك أن تكتسب من الدنيا بالوظيفة فلا نعطيك من الزكاة.

يجوز تزويج الفقير من الزكاة

سئل : ولكن لو وجدنا شخصًا يستطيع أن يكتسب للأكل، والشرب، والسكنى، لكنه يحتاج إلى الزواج وليس عنده ما يتزوج به فهل يجوز أن نزوجه من الزكاة؟

أجاب : نعم يجوز أن نزوجه من الزكاة، ويعطى المهر كاملاً، فإن قيل: ما وجه كون تزويج الفقير من الزكاة جائزًا ولو كان الذي يعطى إياه كثيرًا؟

قلنا: لأن حاجة الإنسان إلى الزواج ملحة قد تكون في بعض الأحيان كحاجته إلى الأكل والشرب، ولذلك قال أهل العلم: إنه يجب على من تلزمه نفقة شخص أن يزوجه إن كان ماله يتسع لذلك، فيجب على الأب أن يزوج ابنه إذا احتاج الابن للزواج ولم يكن عنده ما يتزوج به، لكن سمعت أن بعض الآباء الذين نسوا حالهم حال الشباب إذا طلب ابنه منه الزواج، قال له: تزوج من عرق جبينك. وهذا غير جائز، وحرام عليه إذا كان قادرًا على تزويجه، وسوف يخاصمه ابنه يوم القيامة إذا لم يزوجه مع قدرته على تزويجه.

لا إله إلا الله تشتمل على جميع أنواع التوحيد

سُئل: كيف كانت «لا إله إلا الله» مشتملة على جميع أنواع التوحيد؟

أجاب: هي تشمل جميع أنواع التوحيد كلها؛ إما بالتضمن، وإما بالالتزام، وذلك أن قول القائل: «أشهد أن لا إله إلا الله» يتبادر إلى الذهن أن المراد بها توحيد العبادة- الذي يسمى توحيد الألوهية- وهو متضمن لتوحيد الربوبية؛ لأن كل من عبد الله وحده، فإنه لن يعبده حتى يكون مقرًا له بالربوبية؛ وكذلك متضمن لتوحيد الأسماء والصفات؛ لأن الإنسان لا يعبد إلا من علم أنه مستحق للعبادة، لما له من الأسماء والصفات، ولهذا قال إبراهيم لأبيه: ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ وَلاَ يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا﴾ [مريم: ٤٢]، فتوحيد العبادة متضمن لتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات.

مكانة الحب

بقلم / علي الوصيفي

الحب في الله جوهرة ثمينة أولاها الله تعالى صفوة أوليائه وخيرة خلصائه، أما أن تجد هذا النوع من الحب في غيرهم فلا، فهذا النوع من الحب لا يكون بين الكفار، ولا بين أهل البدع ، فإن الله تعالى لا يصب ذلك الحب في قلوبهم أبدا، ما بقوا على الكفر؛ انظر إلى قوله تعالى: ﴿ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ [المائدة:١٤] وقوله تعالى: ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ﴾ [الحشر:١٤] فأينما تجد تجمعا للكفار أو لأهل البدع فلا يغرنك كثرته، ولا يرهبنك أمره، فهو سراب بقيعة، أو ظلمات في بحر لجي، أو رماد اشتدت به الريح، سرعان ما يزول ويتبدد. وأنى لهم المحبة الصادقة؟ ومن يلقيها في قلوبهم؟ فإنها لا تكون لهم من الله تعالى.

حرمان غير المؤمنين من حب الله وحب أوليائه

كيف يحبهم الله وقد آذوه وسبوه وكذبوه؟ أني لليهود حُبُّ الله تعالى؟ وقد قالوا ﴿ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ [المائدة:٦٤] وقالوا: ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾ [آل عمران:١٨١] وأني للصليبيين محبة الله تعالى مع قولهم: ﴿ اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴾ [مريم:٨٨] وفي الحديث القدسي الذي رواه البخاري وغيره عن ابن عباس قال قال النبي ﷺ قال الله تعالى: «كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه إياي فزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان وأما شتمه إياي فقوله لي ولد فسبحاني أن اتخذ صاحبة أو ولدًا».. فلا يمكن أبدا أن يجتمع في القلب محبة الله تعالى وسبابه والاستهزاء بدينه في آن واحد، ومن ظن ذلك فهو جهمي جاهل لا يدري معنى الإيمان على حقيقته. ولا يمكن لهؤلاء أن يحبهم الرسل ولا أولياء الله الصالحون؛ لأنهم كذبوهم وآذوهم وعادوا الحق الذي جاءوا به؛ ولذا كان من الضروري الجهر بمعاداة هؤلاء، والتصريح بالبراءة منهم، وعدم موالاتهم، تأسيًا بقول إبراهيم عليه السلام لقومه، والذي زكاه رب العزة سبحانه كما في قوله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾ [الممتحنة:٤] وهذا أيضا ينصرف إلى أهل البدع حتى يدعوا بدعتهم، ويهجروا إفكهم، لقول النبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها: «إذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم» [متفق عليه] وعلى ذلك جرى عمل السلف الصالح رضي الله عنهم، فهذا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول ليحيى بن يعمر لما أخبره بقول معبد الجهني: «لا قدر وأن الأمر أنف» يعني: «مستأنف» يشير بذلك إلى تكذيب علم الله الأزلي قال: «أخبر هؤلاء أني بريء منهم وأنهم برآء مني» [متفق عليه].

الحب صفة لله تعالى

الحب صفة حقيقية ثابتة لله تعالى بدلالة قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة:٢٢٢] وقوله تعالى: ﴿ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ [المائدة:٥٤] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ [الصف:٤] وفي السنة عن

سلمة بن الأكوع عن النبي ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله» [متفق عليه] وفي هذه الدلالات كفاية ﴿لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق:٣٧] وتثبت تلك الصفة عقلا للخالق جل جلاله بثبوت آثارها في المخلوق، إضافة إلى أنها في المخلوق صفة كمال بلا شك، فمن يحب أكمل ممن لا يحب، وكل كمال ثبت للمخلوق فالخالق به أولى.

الحب صفة فعلية

وتتجدد تلك الصفة في ذات الله تعالى لا عن نقص بل عن كمال، فأصلها موجود، ولكن آثار تلك الصفة يظهر بوجود دواعيها في العبد، فكلما اقترب الإنسان من ربه تعالى بالطاعة كلما نال حب الله تعالى. وهي من هذه الجهة صفة فعلية، قديمة النوع متجددة الآثار، ويظهر ذلك من قوله تعالى في الحديث القدسي الذي رواه البخاري عن أبي هريرة قال قال النبي ﷺ قال الله تعالى: «وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه» فالحب متعلق بالتزام الطاعة والمواظبة عليها، كما هو متعلق بتوبة التائب وتطهر المتطهر واعتصام المقاتل مع أخيه في ساحة القتال بالله وابتغاء وجهه فقط، كما هو واضح في الآيات السابقة.

الحب صفة حقيقية

وليست المحبة الثواب ولا إرادة الثواب ولا التفضل على الغير والإنعام إليه، كما يقول الأشاعرة والمعتزلة، بل كل هذه آثار من آثار محبة الله تعالى، أما أن الحب صفة حقيقية لا تؤول بالمجاز إلى الثواب أو إرادة الثواب فدليل ذلك أن الله تعالى قال في الحديث القدسي: «فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه..» [تقدم تخريجه]، والمعنى أن الله تعالى يوفق سمعه وبصره ويؤيد ذلك قوله في الرواية الأخرى: «فبي يبطش وبي يسمع وبي يبصر» فجعل التوفيق لازما من لوازم المحبة وأثرا من آثارها، وليس هو حقيقة المحبة... (ولا مسوغ في هذا الحديث للحلولية لأنه قال في أوله ما تقرب إليَّ عبدي) وكما في الحديث الآخر عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «إن الله إذا أحب عبدا نادى جبريل يا جبريل إني أحب فلانا فأحبه ثم ينادي جبريل في أهل السماء يا أهل السماء إن الله يحب فلانا فأحبوه ثم يوضع له القبول في الأرض...» [متفق عليه]، فجعل القبول لازما من لوازم المحبة التي اتصف بها. إذن فالمحبة صفة ثابتة لله تعالى، ولا ينبغي أن تنكر أو تؤول؛ لأن الله تعالى يقدر أن يحب حبا يليق بجلاله، فهو على كل شيء قدير فمن أنكر أن الله تعالى يحب فقد أنكر أن الله على كل شيء قدير، فهو يقدر على الفعل في نفسه، ويقدر على الفعل في غيره. وإذا كان حب المخلوقين خفة ورقة في القلب فهذا ليس بمسوغ لإنكار حب الله تعالى للعبد؛ وذلك لأن الله تعالى يحِب لا كحب المخلوقين قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، وهذا هو ما كان عليه السلف الصالح، فلم ينكر أحدهم هذه الصفة ولم يؤولها. بل هي صفة كمال في المخلوق، وتحققها في الخالق من باب أولى. ولم يقل أحدهم قول المعتزلة ولا الأشاعرة بالتعطيل ولا بالتأويل، ولم ينقل في كتبهم أنها من المتشابه الذي يوهم كفرا، ولو كان ذلك لما قالوا: «أمروها كما جاءت» فإنهم لا يمررون الكفر، وإنما يمررون الحق الثابت بالمعنى الصادق، ولكنهم يفوضون الكيفية لمن يعلم ذلك وهو الله رب العالمين وحده، بل ولو كان في إثبات صفة المحبة على حقيقتها شيء يشكل في أذهان المخلوقين لما سكت عن ذلك الله تعالى ولا رسوله محمد ﷺ وكيف يكون ذلك وفي المسكوت عنه ما يوهم الكفر، كما يزعمون، لا يمكن أبدا.

الله تعالى محبوب ومحب

صفة الحب لا تفسر بأعظم مما ذُكِرتْ به فالله يُحِب ويُحَب كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ [البروج:١٤] قال ابن عباس رضي الله عنهما: الودود الذي يحب ويحب. وهذا التأويل موافق لقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة:٥٤] فهنا تبادل في المحبة، وثبت ذلك في قول النبي ﷺ: «لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله» [تقدم تخريجه]، فكان هذا الرجل عليا رضي الله عنه فهو محبوب ومحِبٌ. وأعظم الغايات أن يحبك الله تعالى بعد أن تحب أنت الله.

الله يُحَبُ لذاته

ليس هناك شيء في الوجود يُحَبُّ لذاته إلا الله تعالى، وكل شيء غير الله تعالى إنما يحب بسبب من الله جل جلاله، أما الدليل على أن المؤمنين يحبون الله تعالى لذاته ويعملون لرؤية وجهه الكريم فذلك قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥] وقوله تعالى: «وجبت محبتي للمتحابين في» [رواه أحمد وغيره عن معاذ

وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم٤٣٣١]، وقوله: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ [الإنسان:٩] وقوله تعالى: «يترك طعامه وشرابه من أجلي» [متفق عليه].

وقد أشكل على طوائف الصوفية ذلك، وظنوا أن طلب الجنة والهروب من النار يتنافى مع فعل العمل ابتغاء وجه الله تعالى ومنهم من قال: «إذا كان الزاهد يطلب على زهده أجرا فهو لا يستحق مسمى الصوفي»، بل ومنهم من جعله شركا، ولا يزالون يرددون قول رابعة العدوية رحمها الله: إذا كنت أعبدك خوفا من نارك فأدخلنيها وإذا كنت أعبدك طمعا في جنتك فلا تدخلنيها... وهذا القول مردود من ثلاثة أوجه: وجه: أن تعلق العبد بالعوض والعمل لا يكون مانعا من محبة الله تعالى، بل الله تعالى محبوب على كل حال، فالمرء يعمل عند من يحب ومن لا يحب مع أخذه العوض منه فلا يشترط تعلق المحبة بالعوض. ووجه: أن الجنة تطلب وتحب لأن الله تعالى هو الذي رغب فيها وعظمها، ولولا ذلك ما كان أحد منا يصدق ما ذكر فيها من النعيم والخيرات، والنار كذلك ما كان يرهب منها إلا لأجل أن الله تعالى جعلها عذابه، فلولا الله تعالى ما صدقنا أن هناك نارا يكلم الناس فيها بعضهم بعضا. فتعظيم الجنة وطلبها تعظيم لله تعالى في الحقيقة والخوف من النار والهروب منها خوف من الله تعالى في الحقيقة. ووجه: أن عبادة الله تعالى بالخوف والرجاء عمل الأنبياء والصالحين كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٩٠] والأدلة على ذلك كثيرة فمن زعم أن عبادة الله تعالى بالخوف من ناره والطمع في جنته نقص في المقام أو في الأجر فقد انتقص في الحقيقة من الأنبياء، وهذا من الغرور والجهالة، إذ لا يمكن لولي مهما كانت مجاهدته ورياضاته أن يرتفع إلى مقام الأنبياء، فكيف يزيد عليه؟

العبادة الصحيحة

نستطيع أن نخرج من هذا بكلمة مجملة لأهل السنة أن العبادة الصحيحة لا بد أن تكون مشتملة على الحب والخوف والرجاء، وإلا فمن عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالخوف وحده فهو خارجي، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبد الله بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد.... وهذه الجملة تدفع قول الذين يجردون الحب من لوازمه وحقيقته المقبولة، وإلا فإن الحب الصحيح يتضمن الخوف والرجاء، فمن أحب إنسانا حبا حقيقيا كان ذلك دليلا على تعظيمه له، وتعظيمه يدفعه إلى أمرين؛ إلى الخوف منه والهرب مما يغضبه، وإلى الطمع فيه والعمل فيما يرضيه، فما بالك بحب الله تعالى! ولذا فمن مراتب الحب التتيم والتعبد، وهاتان المرتبتان تدلان على عظم المحبة، فمن صار لله تعالى عبدا فقد أحب الله تعالى حبا شديدا، والتعبد خوف ورجاء وحب، والعبد السالم من الآفات لا يجعل لنفسه حظا فيما يملك، إنما يصير قصده في قصد سيده، ولا يجعل لنفسه سلطانا عليها، إنما يجعل السلطان كله لله تعالى، ولذا خوطب النبي ﷺ بمقام العبادة في ثلاثة مواضع، في الإسراء والوحي والدعوة، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء:١] وقال تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم:١٠] وقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن:١٩] ولذا قال النبي ﷺ كما أمره الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام:١٦٢،١٦٣] ولا يفوتنا أن نذكر أن أعلى مقامات الحب الخلة، ولم يصل إلى هذا المقام أحد غير نبي الله إبراهيم ونبي الله محمد عليهما الصلاة والسلام، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء:١٢٥] وقوله ﷺ: «إن الله تعالى قد اتخذني خليلا، كما اتخذ إبراهيم خليلا» [رواه مسلم وغيره عن جندب ٥٣٢]. والخلة مع الله القيام بجميع مقامات العبادة لا يشغل أصحابها مقام عن مقام مهما كانت درجته.

والخلة بين الأصحاب أن يسد كل واحد خلل صاحبه، ويهلك نفسه في حاجته، فإذا أقبل أقبل لله وإذا أعرض أعرض لله، وهؤلاء بين البشر قلة، ومن ذلك ما أشار إليه حسان بن ثابت رضي الله عنه:

أخلاء الرجال همُ كثير
ولكنْ في البلاء همُ قليل
فلا تغررك خلة من تؤاخي
فمالك عند نائبة خليل
وكل أخ يقول أنا وفيٌّ
ولكن ليس يفعل ما يقول
سوى خلٍّ له حسب ودين
فذاك لما يقول هو الفعول

ولا يحق لنبي أن يتخذ أحدا من الناس خليلا، إنما صحبة وإيمان، لما ثبت في الصحيحين أن

رسول الله ﷺ خطبهم قائلا: «ولو كنت متخذًا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته...».

متى تصدق المحبة؟

فمن صدق في محبته فقد صدق في استقامته لا محالة، فالاستقامة لازم من لوازم المحبة، فليست محبة العبد لربه هي مجرد الاستقامة؛ وإلا لدخل فيها المنافقون، ولكن المحبة شغف ووداد وميل وإيثار وشوق، وإن كانت هذه الألفاظ تجمع معنى الحب وآثاره في وقت واحد. وإنما الاستقامة أثر من آثار الحب. قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١] فهذه آية الامتحان، فمن زعم شيئا فلا بد أن يعطي البرهان على صدقه، والبرهان على الحب الاستقامة، فجعل الاتباع لازما من لوازم المحبة، وليس هو نفس المحبة، وهذا خلافا للمعتزلة والأشاعرة فإنهم يجعلون الحب مجرد الاستقامة، ومنهم من يجعل الحب إيثارا عقليا، وهذا غير صحيح، فالمؤمنون يشتاقون ويميلون ويرجون، وهذه كلها أعمال قلبية تعبر عن الحب، ولا يمكن أن يصلح إيمان العبد إلا بهذا النوع من الحب. فالأولى بالحب هو الله الغفور الودود قال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله» [متفق عليه من حديث أنس] فالحب بين المؤمنين أصل الإيمان وثمرته، فمن وجد في قلبه حبا فقد وجد في قلبه إيمانا صادقا، ومن وجد في قلبه بغضا فليراجع نفسه، وليصحح مسيرة دينه قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم:٩٦] وداً يعني: «حباً» حبا فيما بينهم، وحبا منه تعالى لهم، وحبا من ملائكته تجاههم، وأما من لم يستشعروا هذا الود فيما بينهم فإنهم لم يستشعروا حلاوة الإيمان ولا بشاشته.

من أحب أخا فليخبره بذلك:

لا يمكن أن يطول أمد الخصام، وتستمرأ المناورة على المصالحة، والبغضاء والشحناء على التسامح والتعانق والمصافحة، والظن السيء على الظن الحسن، أو تجف المشاعر بين قوم يقول أحدهم لصاحبه: «إني أحبك في الله» وقد أثر عن الإمام أحمد أن الصلح المقبول هو الذي يعود فيه كلا الطرفين إلى ما كانا عليه قبل الخصام «أو كما قال (رحمه الله) فهذا أثر من آثار الحب الصادق، فمن يرض بغير عتاب، ويصفح بلا إعراض، ويصدق قلبه، وتخلص نيته؛ فيكون سمحا في بيعه، سمحا في خصومته، سمحا في عدله، سمحا في صلحه، فلعله يحظى بمنزلة يغبطه عليها النبيون والشهداء، تلك هي منزلة المتحابين في الله تعالى وحده. روى الترمذي عن معاذ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال تعالى: المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء» [رواه الترمذي عن معاذ وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع حديث رقم: ٤٣١٢] فمن أحب أخا له فليعلمه بذلك، وهذه هي عادة السلف الصالح رضوان الله عليهم: فعن يزيد بن أبي حبيب أن أبا سالم الجيشاني أتى أبا أمية في منزله فقال: إني سمعت أبا ذر يقول إنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إذا أحب أحدكم صاحبه فليأته في منزله فليخبره أنه يحبه لله، وقد جئتك في منزلك» [رواه أحمد وغيره وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم ٢٨١] وهذا أبو إدريس الخولاني فيما رواه أحمد وغيره بإسناد صحيح يدخل على معاذ بن جبل رضي الله عنه في مسجد دمشق ويقول له: «إني أحبك في الله» فهذه هي الأخلاق المنبثقة من الاعتقاد الصحيح والفهم السديد والدين القيم، فإذا افتقدتها فتحسر عليها، وإلا فلا أراك من الفرقة الناجية المنصورة، لأن أصحاب الفرقة الناجية مجتمعون على الحق مستمسكون بالسنة، لا يسب بعضهم بعضا ولا يلعن بعضهم بعضا، تلك علامتهم ومن السنة الحب في الله والبغض في الله، وإذا رأيت أهل البدع يتقاربون فلا تقل متحابون ونحن متباغضون، وإنما هم قوم غلبتهم الأهواء، اجتمعوا عليها، وتضامنت نفوسهم بها، وإن سمي هذا حبا فالمرء يحشر مع من أحب.

أسأل الله تعالى أن يحشرنا وإياكم مع الصالحين. اللهم آمين.

رسالة السّجْزيّ إلى أهل زبيد في « الرد على من أنكر الحرف والصوت »

إعداد: علاء خضر

المؤلف : الشيخ الإمام الحافظ أبو نصر عبيد الله بن سعيد بن حاتم بن أحمد الوايلي البكري السجزي.

مولده: ولد في نهاية القرن الثالث تقريبًا بقرية «وايل» في سجستان.

طوف أبو نصر رحمه الله بالكثير من البلاد ولقي الكثير من أهل العلم وحفاظ الحديث، فسمع منهم وروى عنهم، فمن هؤلاء والده حيث تفقه عليه وأبو عبد الله الحاكم صاحب «المستدرك».

قال عنه ابن ماكولا: كان أحد الحفاظ المتقنين.

وقال عنه الحافظ الذهبي: الحافظ الإمام علم السنة عبيدالله بن سعيد.

وفاته: توفي عام ٤٤٤هـ.

موضوع الكتاب

إثبات أن كلام اللّه عز وجل بحرف وصوت والرد على من أنكر ذلك والاستدلال عليه بنصوص الكتاب والسنة واللغة وبعض المسائل المهمة في العقيدة كالاستواء والنزول وإثبات اليدين، وغير ذلك من صفات الباري جل وعلا.

سبب تأليف الكتاب

صرح بذلك فقال لأهل زبيد: فقد ذكر لي عنكم وفقنا الله وإياكم لمرضاته... وأنكم وجدتم المخالفين ببلدكم يشغبون عند ذكر الحرف والصوت... وسألتم إفراد القول في الفصل بترك الأسانيد ليسهل عليكم الأخذ بكظم المخالف.

أهمية الكتاب

أثبت فيه المصنف رحمه الله قول أهل السنة في أن الله متكلم بحرف وصوت خلافًا للكلابية وغيرهم الذين يقولون: إن كلامه سبحانه وتعالى ليس بحرف ولا صوت، وإنما هو كلام نفسي قائم بذات اللّه.

منهج المؤلف في الكتاب

الكتاب عبارة عن رسالة موجهة إلى أهل زبيد سلك فيها المؤلف منهجًا علميًا يعتمد فيه على ذكر شبه الخصم وحججه، ومن ثم بيان بطلانها ودحضها والرد عليها وبيان مخالفة خصومه للعقل الذي يقدمونه والشرع واللغة والعرف جميعًا وموافقتهم للمعتزلة في كثير مما يقولون.

أهم طبعات الكتاب

طبعة بتحقيق ودراسة محمد باكريم باعبدالله. نال بها درجة الماجستير في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

أهم مباحث الكتاب

بدأ المؤلف رحمه الله كتابه عارضًا شبهات المعتزلة والكلابية حاكيًا عنهم، فقال رحمه الله: فالإجماع منعقد بين العقلاء على كون الكلام حرفًا وصوتًا، فلما نبغ ابن كلاب وأضرابه وحاولوا الرد على المعتزلة من طريق مجرد العقل وهم لا يخبرون أصول السنة ولا ما كان السلف عليه، ولا يحتجون بالأخبار الواردة في ذلك، زعمًا منهم أنها أخبار آحاد وهي لا توجب علمًا وألزمتهم المعتزلة أن الاتفاق حاصل على أن الكلام حرف وصوت ويدخله التعاقب والتأليف... ولا بدَّ له من أن يكون ذا أجزاء وأبعاض وما كان بهذه المثابة لا يجوز أن يكون صفات ذات الله. وبهذا الفهم السقيم أنكروا صفة الكلام لله عز وجل.

فضاق بابن كلاب وأضرابه النفس عند هذا الإلزام لقلة معرفتهم بالسنن وتركهم قبولها وتسليمهم العنان إلى مجرد العقل، فالتزموا ما قالته المعتزلة، وقالوا للمعتزلة: الذي ذكرتموه ليس بحقيقة الكلام وإنما يسمى ذلك كلامًا على المجاز بكونه حكاية أو عبارة عنه وحقيقة الكلام: معنى قائم بذات المتكلم.

ثم خرجوا من هذا إلى أن إثبات الحرف والصوت في كلام الله سبحانه تجسيم، وإثبات اللغة فيه تشبيه.

فعقب الإمام السجزي رحمه الله قائلاً لأهل زبيد: فالذي تحتاجون إليه حفظكم الله معهم

في إزالة تمويههم... فَعَدَّ اثني عشر فصلاً، شارحًا فيها كيف يرد عليهم وعلى شبههم.

مصدر الحجج والبراهين

ففي الفصل الأول قال: وتحت عنوان «إقامة البرهان على أن الحجة القاطعة هي التي يرد بها السمع لا غير وأن العقل آلة للتمييز فحسب» قال: قال الله سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠]، فأمر جل جلاله نبيه عليه السلام أن يدعو إلى إثبات الوحدانية بالوحي، وقال جل جلاله: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [النساء: ٥٩].

ولم يدع النبي ﷺ إلى المحاجة بالعقل أحدًا ولا أمر بذلك أمته، وقال عمر وسهل بن حنيف: «اتهموا الرأي على الدين»، ولا مخالف لهما في الصحابة، وقد كانا يجتهدان في الفروع، فعلم أنهما أرادا بذلك المنع من الرجوع إلى العقل في المعتقدات.

وقال السجزي رحمه الله: واتفق السلف على أن معرفة الله من طريق العقل ممكنة غير واجبة، وأن الوجوب من طريق السمع لأن الوعيد مقترن بذلك.

من هم أهل السنة؟

وفي الفصل الثاني قال: وتحت عنوان «بيان السنة ما هي؟ وبم يصير المرء من أهلها» قال: اعلموا رحمكم الله أن السنة في لسان العرب هي الطريقة، فقولنا: سنة رسول الله ﷺ يعني طريقته وما دعا إلى التمسك به ولا خلاف بين العقلاء في أن سنة رسول الله ﷺ لا تُعلم بالعقل وإنما تُعلم بالنقل.

فأهل السنة هم الثابتون على اعتقاد ما نقله إليهم السلف الصالح رحمهم الله عن الرسول ﷺ أو عن الصحابة رضي الله عنهم فيما لم يثبت فيه نص في الكتاب ولا عن الرسول ﷺ؛ لأنهم رضي الله عنهم أئمة، وقد أمرنا باقتفاء آثارهم واتباع سنتهم، وهذا أظهر من أن يحتاج فيه إلى إقامة برهان.

وقال رحمه الله: ولا خلاف أيضًا في أن الأمة ممنوعون من الإحداث في الدين، ومعلوم أن القائل بما ثبت من طريق النقل الصحيح عن الرسول ﷺ لا يسمى محدثًا، بل يسمى سنيًا متبعًا، وأن من قال في نفسه قولاً وزعم أنه مقتضى عقله، وأن الحديث المخالف له لا ينبغي أن يُلتفت إليه لكونه من أخبار الآحاد وهي لا توجب علمًا؛ وعقله موجب للعلم يستحق أن يسمى محدثًا مبتدعًا مخالفًا ومن كان له أدنى تحصيل أمكنه أن يفرق بيننا وبين مخالفينا.

كلام الله حرف وصوت!!

وفي فصل آخر قال: وتحت عنوان «إيراد الحجة على أن الكلام لن يعرَى عن حرف وصوت البتة وأن ما عرَى عنهما لم يكن كلامًا في الحقيقة» قال: فالله سبحانه وتعالى قد بيّن في كتابه ما كلامه؟ وبيّن ذلك رسوله ﷺ واعترف به الصدر الأول والسلف الصالح رحمهم الله وآمنوا به. فقال سبحانه: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، وقال تعالى: ﴿فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ [المزمل: ٢٠]، وما سمع مستجير قط إلا كلامًا ذا حروف وأصوات ولا قرأ قارئ البتة إلا ذلك.

وقال أيضًا رحمه الله: وأظهر مما ذكرنا ويبيّن خزي مخالفنا فيه قول الله سبحانه وتعالي: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [النمل: ٤٠]، و﴿كُن﴾ حرفان.

وقال رحمه الله تعالى: وأما الصوت فقد زعموا أنه لا يخرج إلا من هواء بين جرمين لا يجوز وجوده من ذات الله تعالى، والذي قالوه باطل من وجوه، ألا ترى أن النبي ذكر سلام الحجر عليه وعلم تسبيح الحصا في يده وتسبيح الطعام بين يديه؟ فما لشيء من ذلك هواء فانخرق بين جرمين.

وفي موضع آخر قال: وقبل كل شيء ينبغي أن يعلم أن اعتمادنا في المعتقدات أجمع على السمع، فإذا ورد السمع بشيء قلنا به، ولم نلتفت إلى شبهة يدعيها مخالف.

وقد ورد السمع بذكر الصوت من قِبل الله تعالى ومن قِبل أنبيائه عليهم السلام، ومن قِبل الأئمة والعلماء بعدهم.

قال الله سبحانه لموسى عليه السلام: ﴿فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ [طه: ١٣]، وكان يكلمه من وراء حجاب لا ترجمان بينهما واستماع البشر في الحقيقة لا

يقع إلا للصوت.

وذكر السجزي رحمه الله دليلاً آخر أثبت فيه أن كلام الله بحرف وصوت وهو أثر ابن مسعود الذي رواه أحمد بن حنبل قال: قال ابن مسعود رضي الله عنه: إذا تكلم الله سبحانه بالوحي سمع صوته أهل السماء فيخرون سجدًا.

وفي شبه أخرى قال رحمه الله: فإن قالوا: الصوت والحرف إذا ثبتا في الكلام اقتضيا عددًا، والله سبحانه وتعالى واحد من كل وجه. قيل لهم: قد بينا لكم مرارًا أن اعتماد أولى الحق في هذه الأبواب على السمع، وقد ورد السمع بأن القرآن ذو عدد وأقر المسلمون بأن كلام الله حقيقة لا مجاز.

وفي فصل آخر قال: وقد زعموا أن أصحاب الحديث يعتقدون ما في الأحاديث من ذكر الصفات على ظاهرها ويثبتون لله سبحانه الكف والأصابع والضحك والنزول وأنه في السماء فوق العرش وهذه من صفات الأجسام، حتى قال بعض سقاطهم: ما بين شيوخ الحنابلة وبين اليهود إلا خصلة واحدة!!

وأقسم المصنف رحمه الله أن بين الطائفتين خصلة واحدة لكنها بخلاف ما تصوره السهاقط، وتلك الخصلة أن الحنابلة على الإسلام والسنة، واليهود على الكفر والضلالة.

الرسل أعرف الناس بصفات الله

ورد عليهم قائلاً: وأول ما نقول: إن القول بما في الأحاديث الثابتة مما أمر الله سبحانه بقبوله فقال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧]، ولا خلاف بين عقلاء أهل الملة في أن الرسل أعرف بالله سبحانه وتعالى وبصفاته من غيرهم؛ لأنهم أوفر الناس عقلاً، والوحي ينزل عليهم والعصمة من الضلال تصحبهم، وقد جعل الله سبحانه وتعالى طاعة رسوله محمد ﷺ مقرونة بطاعته ووعد من أطاعه وأطاع رسوله بالفوز العظيم.

فأمر هذه الأحاديث التي وقع الخلاف فيها لا يخلو أن يكون صدقًا أو كذبًا، فإن كانت صدقًا وجب المصير إليها، وإن كانت كذبًا لزم تركها، ووجدنا رواة هذه الأحاديث أئمة المسلمين وصدورهم وعلماءهم وثقاتهم خلفًا عن سلف وهم من أهل العدالة الظاهرة والمرجوع إليهم وإلى فتاويهم في الدماء والفروج كسفيان الثوري ومالك بن أنس وحماد بن زيد وأمثالهم، فمن صدقهم في نقل الشريعة لزمه أن يصدقهم في نقل الصفات، ومن كذبهم في أحد النوعين وجب عليه تكذيبهم في النوع الآخر.

احذروا التلبيس والكذب على المذاهب!!

ثم ختم المصنف رحمه الله كتابه تحت عنوان: «الحذر من الركون إلى كل أحد والأخذ من كل كتاب لأن التلبيس قد كثر والكذب على المذاهب قد انتشر» قال: اعلموا رحمنا وإياكم الله سبحانه وتعالى أن هذا الفصل من أولى هذه الفصول بالضبط لعموم البلاء وما يدخل على الناس بإهماله، وذلك أن أحوال أهل الزمان قد اضطربت، والمعتمد فيهم قد عز؛ ومن يبيع دينه بعرض يسير أو تحببًا إلى من يراه قد كثر، والكذب على المذاهب قد انتشر، فالواجب على كل مسلم يحب الخلاص ألا يركن إلى كل أحد ولا يعتمد على كل كتاب ولا يسلم عنانه إلى من أظهر له الموافقة... فمن رام النجاة من هؤلاء والسلامة من الأهواء، فليكن ميزانه الكتاب والأثر في كل ما يسمع ويرى، فإن كان عالمًا بهما عرضه عليهما ولا يقبل من أحد قولاً إلا وطالبه على صحته بآية محكمة أو سنة ثابتة أو قول صحابي من طريق صحيح.

وليكثر النظر في كتب السنن لمن تقدم مثل: أبي داود السجستاني، وعبد الله بن أحمد بن حنبل، وبكر الأثرم، وعثمان الدارمي، وحرب بن إسماعيل، وليحذر تصانيف من تغير حالهم فإن فيها العقارب.

ثم قال خاتمًا: وأنا أرجو أن من تأمل هذه الرسالة حق التأمل وجد فيها بتوفيق الله سبحانه شفاء غليله، وأسأل الله تعالى أن يجعل قيامي بها لوجهه خالصًا وأن ينفع بها من نظر فيها، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

حكم الإسلام في العكوف على أماكن معينة للعبادة

لشيخ الإسلام ابن تيمية

أصل دين المسلمين، أنه لا تختص بقعة بقصد العبادة فيها إلا المساجد خاصة، وما عليه المشركون وأهل الكتاب من تعظيم بقاع للعبادة غير المساجد - كما كانوا في الجاهلية يعظمون حراء، ونحوه من البقاع - فهو مما جاء الإسلام بمحوه وإزالته ونسخه.

ثم المساجد جميعها تشترك في العبادات، فكل ما يفعل في مسجد يفعل في سائر المساجد، إلا ما خص به المسجد الحرام، من الطواف ونحوه فإن خصائص المسجد الحرام لا يشاركه فيها شيء من المساجد. كما أنه لا يصلى إلى غيره.

وأما مسجد النبي ﷺ، والمسجد الأقصى، فكل ما يشرع فيهما من العبادات، يشرع في سائر المساجد: كالصلاة والدعاء والذكر والقراءة والاعتكاف، ولا يشرع فيهما جنس لا يشرع في غيرهما لا تقبيل شيء ولا استلامه، ولا الطواف به، ونحو ذلك. لكنهما أفضل من غيرهما، فالصلاة فيهما تضاعف على الصلاة في غيرهما.

أما مسجد النبي ﷺ، فقد ثبت في الصحيح: أن الصلاة فيه أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام. وروي هذا عن النبي ﷺ من غير وجه. ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة في غيره من المساجد، إلا المسجد الحرام، فإني آخر الأنبياء وإن مسجدي آخر المساجد».

وفي صحيح مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام» وفي مسلم أيضا عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «إن امرأة اشتكت شكوى، فقالت: إن شفاني الله لأخرجن، فلأصلين في بيت المقدس، فبرأت، ثم تجهزت تريد الخروج، فجاءت ميمونة زوج النبي ﷺ فأخبرتها ذلك فقالت: اجلسي فكلي ما صنعت، وصلي في مسجد الرسول ﷺ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «صلاة فيه أفضل من ألف صلاة فيما سواه، إلا مسجد الكعبة».وفي المسند عن ابن الزبير رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من صلاة في مسجدي بمائة صلاة» قال أبو عبد الله المقدسي: إسناده على رسم الصحيح.

ولهذا جاءت الشريعة بالاعتكاف الشرعي في المساجد، بدل ما كان يفعل قبل الإسلام من المجاورة بغار حراء، ونحوه، فكان النبي ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان، حتى قبضه الله.

والاعتكاف من العبادات المشروعة بالمساجد باتفاق الأئمة، كما قال تعالى: ﴿ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد﴾ [البقرة:١٨٧]، أي: في حال عكوفكم في المساجد لا تباشروهن، وإن كانت المباشرة خارج المسجد ولهذا قال الفقهاء: إن ركن الاعتكاف، لزوم المسجد لعبادة الله. ومحظوره الذي يبطله، مباشرة النساء.

فأما العكوف والمجاورة عند شجرة أو حجر، تمثال أو غير تمثال، أو العكوف والمجاورة عند قبر نبي، أو غير نبي، أو مقام نبي أو غير نبي، فليس هذا من دين المسلمين. بل هو من جنس دين المشركين، الذين أخبر الله عنهم بما ذكره في كتابه، حيث قال: ﴿ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل، وكنا به عالمين، إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون، قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين، قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين، قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين، قال بل ربكم رب السماوات والأرض الذي فطرهن، وأنا على ذلكم من الشاهدين، وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين، فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون﴾ [الأنبياء:٥١-٥٨]، الآيات.

وقال تعالى: ﴿واتل عليهم نبأ إبراهيم إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد أصنامًا فنظل لها عاكفين. قال هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون. قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون. قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون، فإنهم عدو لي إلا رب العالمين. الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين، وإذا مرضت فهو يشفين. والذي يميتني ثم يحيين والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين﴾ [الشعراء:٦٩ـ٨٢]. إلى آخر القصة.

وقال تعالى: ﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم. قالوا يا موسى اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة، قال إنكم قوم تجهلون، إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون قال أغير الله أبغيكم إلهًا وهو فضلكم على العالمين﴾ [الأعراف:١٣٨ـ١٤٠]، فهذا عكوف المشركين وذاك عكوف المسلمين فعكوف المؤمنين في المساجد لعبادة الله وحده لا شريك له، وعكوف المشركين على ما يرجونه، ويخافونه من دون الله، وما يتخذونهم شركاء وشفعاء، فإن المشركين لم يكن أحد منهم يقول: إن العالم له خالقان ولا أن الله له شريك يساويه في صفاته. هذا لم يقله أحد من المشركين، بل كانوا يقرون بأن خالق السماوات والأرض واحد كما أخبر الله عنهم بقوله: ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله﴾ [لقمان:٢٥]، وقوله تعالى: ﴿قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون، سيقولون لله، قل أفلا تتذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله. قل أفلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون، سيقولن لله. قل فأنى تسحرون﴾ [المؤمنون:٨٤ـ٨٩].

وكانوا يقولون في تلبيتهم «لبيك لا شريك لك، إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك» فقال تعالى لهم: ﴿ضرب لكم مثلا من أنفسكم. هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم﴾ [الروم:٢٨]، وكانوا يتخذون آلهتهم وسائط تقربهم إلى الله زلفى، وتشفع لهم كما قال تعالى: ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ [الزمر:٣]، وقال تعالى: ﴿أم اتخذوا من دون الله شفعاء، قل أو لو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون. قل لله الشفاعة جميعا له ملك السماوات والأرض﴾ [الزمر:٤٣،٤٤].

وقال تعالى: ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله. قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض﴾ [يونس:١٨].

وقال تعالى عن صاحب يس: ﴿ومالي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون أأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون. إني إذا لفي ضلال مبين. إني آمنت بربكم فاسمعون﴾ [يس:٢٢ـ٢٥].

وقال تعالى: ﴿ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة، وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم، وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم إنهم فيكم شركاء، لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون﴾ [الأنعام:٩٤]، وقال تعالى: ﴿ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع﴾ [السجدة:٤]، وقال تعالى: ﴿وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلي ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون﴾ [الأنعام:٥١].

وهذا الموضع افترق الناس فيه ثلاث فرق طرفان، ووسط.

فالمشركون ومن وافقهم من مبتدعة أهل الكتاب، كالنصارى، ومبتدعة هذه الأمة أثبتوا الشفاعة التي نفاها القرآن.

والخوارج والمعتزلة: أنكروا شفاعة نبينا ﷺ في أهل الكبائر من أمته. بل أنكر طائفة من أهل البدع انتفاع الإنسان بشفاعة غيره ودعائه كما أنكروا انتفاعه بصدقة غيره وصيامه عنه.

وأنكروا الشفاعة بقول الله تعالى: ﴿من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة﴾ [البقرة:٢٥٤]، وبقوله تعالى: ﴿ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع﴾ [غافر:١٨]، ونحو ذلك.

وأما سلف الأمة وأئمتها، ومن تبعهم من أهل السنة والجماعة، فأثبتوا ما جاءت به السنة عن النبي ﷺ، من شفاعته لأهل الكبائر من أمته، وغير ذلك من أنواع شفاعاته، وشفاعة غيره من النبيين والملائكة.

وقالوا: إنه لا يخلد في النار من أهل التوحيد أحد، وأقروا بما جاءت به السنة من انتفاع الإنسان بدعاء غيره وشفاعته، والصدقة عنه، بل والصوم عنه في أصح قولي العلماء. كما ثبتت به السنة الصحيحة الصريحة.

وفاة الدكتور مانع الجهني رحمه الله
بعد مسيرة حافلة في مجال الدعوة وخدمة الإسلام

الحمد لله وحده يحمد على كل حال فكل شيء عنده بمقدار ولكل أجل كتاب.

إن العمل الخيري له رواد حملوا رايته ووضعوا أسسه وأنفقوا فيه أعمارهم وقضوا فيه نَحْبَهم؛ منهم الدكتور مانع الجهني رحمه الله تعالى رحمة واسعة رئيس الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

فله رحمه الله تعالى في كل ميدان من ميادين الخير أيادٍ بيضاء وأعمال جليلة. نسأل الله أن يتقبل منه ذلك كله وأن يثقل به موازينه وأن يسكنه فسيح جناته.

ولقد عرفه الجميع مشاركا في محافل الخير ومجتمعات الدعوة الإسلامية حريصا على الصورة الإسلامية أن تعلو والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة أن تنتشر. فله في بناء المساجد التي انتشرت في كافة ربوع الأرض في بلاد الإسلام إسهامات جليلة ومحسوسة حيث توجد الجاليات المسلمة خارج بلاد الإسلام في بلاد المشرق والمغرب. وله في تأسيس المدارس الإسلامية وطباعة الكتب التي يتعلم منها المسلم دينه وكفالة اليتيم وتفريغ الدعاة جهداً لا ينكر.

ولقد كان رحمه الله تعالى مبرزًا في مجال العمل بين شباب المسلمين الوافدين من بلادهم ليتعلموا في بلاد الإسلام بإقامة الدورات العلمية والتربوية والأنشطة الهادفة. كل هذه الأبواب كان الدكتور مانع رحمه الله تعالى مساهمًا فيها، حاثًا الناس عليها، كما كان رحمه الله تعالى مسارعًا في عمل الخيرات، فلقد كان رحمه الله تعالى سابقاً فيها، فنأمل أن يبعث عليها لحديث النبي ﷺ : ((يبعث كل عبد على ما مات عليه)). والمملكة العربية السعودية البلد الرائد في الدعوة الإسلامية إذ تفقد اليوم رجلاً من رجالات العمل الإسلامي؛ فالله سبحانه نسأل أن يعوضها والمسلمين عما فقدت من رجالها خيراً.

وأن يأجرنا جميعاً في مصيبتنا ويخلف لنا خيراً منها.

هذا وقد توفى الدكتور مانع بن حماد الجهني رحمه الله تعالى عضو مجلس الشورى والأمين العام للندوة العالمية للشباب الإسلامي وذلك على أثر حادث مروري أثناء ذهابه لمطار الملك خالد الدولي بالرياض، حيث كان مقررًا أن يسافر لمدينة جدة لحضور أحد الاجتماعات الخاصة بالندوة العالمية للشباب الإسلامي.

وفيما يلي السيرة الذاتية للدكتور مانع الجهني:

مولده

ولد - رحمه الله - بالطائف ١٣٦١هـ

المؤهلات العلمية

نال الشهادة الجامعية: في الأدب الإنجليزي من جامعة الرياض عام ١٣٩٢هـ (الملك سعود) حاليًا.

الماجستير: في علم اللغة الإنجليزية من جامعة انديانا في الولايات المتحدة عام ١٣٩٧هـ

الدكتوراه: في علم اللغة الإنجليزية وعلم اللغة العام من جامعة انديانا في الولايات المتحدة عام ١٤٠٢هـ

«الحياة العملية»

عمل مساعداً فنياً بوزارة المواصلات ١٣٨٠ - ١٣٩٢هـ.

ثم معيداً: في جامعة الملك سعود من ١٣٩٢ - ١٤٠٢هـ.

ثم عين أستاذاً مساعداً: في قسم اللغة الإنجليزية بجامعة الملك سعود عام ١٤٠٢ - ١٤١٤هـ.

ثم رقي أستاذاً مشاركاً: في قسم اللغة الإنجليزية بجامعة الملك سعود عام ١٤١٤ -

١٤١٥هـ.

عمل أميناً عاماً مساعداً للندوة العالمية للشباب الإسلامي (متطوعًا) ١٤٠٦ - ١٤١٢هـ.

ثم أميناً عاماً للندوة العالمية للشباب الإسلامي ١٤١٢هـ ١٤٢٣هـ.

واختير عضواً بمجلس الشورى منذ عام ١٤١٨هـ.

المؤلفات والبحوث

- بحث عن (الكلمات العربية في الإنجليزية).
- بحث عن (الكلمات العربية في الأمريكية المعاصرة).
- الصحوة الإسلامية: نظرة مستقبلية.
- حقيقة المسيح عليه السلام.
- مجموعة من البحوث التي تعرف بأهم مبادىء الإسلام في اللغة الإنجليزية (ترجمه إلى حوالي ٥٠ لغة).
- عقيدة أهل السنَّة والجماعة للشيخ محمد الصالح العثمين - ترجمه إلى الإنجليزية.
- مشكلات الدعوة والداعية لفتحي يكن - ترجمة إلى الإنجليزية.
- كتابة القصة القصيرة ترجمة إلى العربية من الإنجليزية.
- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: إشراف وتخطيط ومراجعة.
- مراجعه بعض ترجمات معاني القرآن باللغة الإنجليزية.
- تقديم الإسلام إلى غير المسلمين: كتيب يحتوي على مقترحات للتعريف بالإسلام.
- مستقبل الإسلام في الغرب: بحث طويل عن تاريخ ومستقبل العلاقة بين الإسلام والغرب.
- وسائل تمكين الدينية من مخاطبة غير الناطقين بالعربية.
- المذاهب الفقهية وأثرها في حياة المسلمين (عربي - إنجليزي).

أولويات العمل الإسلامي بين الشباب في الغرب.

- الأساليب المثلى لتوعية الحاج في بلده.
- الأقليات المسلمة في العالم.
- الشباب ومواجهة التحديات.
- الترويح من منظور إسلامي.
- دور المؤسسات في الخدمة التطوعية في المملكة.
- مستقبل الأصولية.

اللهم ارحم عبدك مانع الجهني رحمة واسعة واخلفنا فيه خيرًا وارحمنا إذا صرنا إلى ما صار إليه. اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده واغفر اللهم لنا وله وإنا لله وإنا إليه راجعون.

جماعة أنصار السنة المحمدية
أسرة تحرير مجلة التوحيد

لله ما أخذ ولله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى

فقدت جماعة أنصار السنة المحمدية فرع بورسعيد أحد دعاتها البارزين، وهو الأخ المهندس عطية محمد عطية، والذي كان له الجهد المشكور في مجال التوعية والخطابة لبيان السنة وشرح التوحيد وقد نشأ في أسرة من العلماء والدعاة إلى الله تبارك وتعالى مما كان له عظيم الأثر في مناظراته العلمية ومحاوراته مع غيره من العلماء النابهين. فنسأل الله العلي القدير أن يسكنه فسيح جناته، وأسرة تحرير مجلة التوحيد تبتهل إلى الله سبحانه وتعالى راجيةً له من الله الرحمة والمغفرة وأن يلهم أهله الصبر.

جماعة أنصار السنة المحمدية

تأسست عام ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٦ م

١ - الدعوة إلى التوحيد الخالص المطهر من جميع الشوائب. وإلى حب الله تعالى حباً صحيحًا صادقاً يتمثل فى طاعته وتقواه، وحب رسول الله ﷺ حباً صحيحاً صادقاً يتمثل فى الاقتداء به واتخاذه أسوة حسنة.

•••

٢ - الدعوة إلى أخذ الدين من نبعيه الصافيَيْن - القرآن والسنة الصحيحة - ومجانبة البدع والخرافات ومحدثات الأمور.

•••

٣ - الدعوة إلى ربط الدنيا بالدين بأوثق رباط - عقيدة وعملاً وخلقاً.

•••

٤ - الدعوة إلى إقامة المجتمع المسلم والحكم بما أنزل الله فكل مُشرِّع غيره - في أي شأن من شئون الحياة - معتدٍ عليه سبحانه ، منازعٌ إياه في حقوقه.

••••

تُلقَى بدار المركز العام للجماعة محاضرات دينية يومياً عقب صلاة المغرب.

دعوة لنشر التوحيد عبر مجلة التوحيد

الحمد لله وبعـــد :

إن وسائل الإعلام في كثير من البلدان في غالب الأحيان صارت عوامل هدم للمجتمعات. فكثير من المفاهيم الشرعية والمعرفية استطاعت وسائل الإعلام تزييفها وتغييرها، ومن هنا سارعت دول الكفر والمذاهب الهدامة إلى السيطرة على زمام تلك الوسائل لتبث من خلالها سمومها التي أشربتها كثير من القلوب فسقطت صرعى وهلكى، أو مرضى في طريق سيرها إلى الله والدار الآخرة، وكان من نتائج ذلك محاولات هدم أركان العقيدة ومحاربة الفضيلة ونشر الرذيلة والفاحشة.

فعُبدت القبور وذبحت القرابين لغير الله عز وجل، وانتشر السحر والسحرة واتُبعت الشهوات وكثرت المنكرات، لكن سرعان ما تنبه العقلاء من المسلمين للخطر الداهم فسارعوا إلى معالجة المرضى وإنقاذ الهلكى ، فكان من جهودهم هذه المجلة الغراء - مجلة التوحيد - منبر الدعوة السلفية بمصر، والتي عملت على نشر التوحيد منذ أكثر من ثلاثين عاماً.

ومن هذا المنطلق ندعوكم أيها الأخوة - حفظكم الله - إلى نشر التوحيد عبر مجلة التوحيد بتوزيعها بالداخل؛ السنة الكاملة بـ ١٥ ريالاً أو ١٥ جنيهاً مصرياً فقط قيمة اشتراك يُهدى إلى معلم أو واعظ يؤثر في مجتمعه، و٢٠ دولاراً قيمة اشتراك خارجي يُهدى إلى من يحتاج إلى من ينير له الطريق. فلا تحرم نفسك يا أخي من السُّنَّة الحسنة والأجر الجزيل.

قال ﷺ : « من دعا إلى هُدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه ».

ويمكن المشاركة بدعم المجلة بعمل حوالة أو شيك مصرفي على بنك فيصل الإسلامي فرع القاهرة حساب رقم ١٩١٥٩٠ باسم مجلة التوحيد - أنصار السنة. وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه.

أسرة مجلة التوحيد